الفصل الرابع

القيم والأخلاق وتكونها عند الطفل

مخطط الفصل الرابع

القيم والأخلاق وتكونها عند الطفل

تمهيد

١- طبيعة القيم وعناصرها

١-١ القيم كرغبات وحاجات واهتمامات

١-٢ القيم كاتجاهات ومعايير ومعتقدات

١-٣ القيم كأنماط مساعدة في توجيه السلوك

١-٤ عناصر القيم

٢- وظائف القيم

٣- تصنيف القيم

٣-١ تصنيف عام

٣-٢ تصنيف خاص

٤- وسائط نقل القيم إلى الفرد

٤-١ الأسرة

٤-٢ المدرسة

٤-٣ دور العبادة

٤-٤ جماعة الرفاق

٤-٥ وسائل الإعلام

٥- تكون القيم والأخلاق عند الأطفال

٥-١ اكتساب القيم والأخلاق عند الطفل

٥-٢ محددات اكتساب القيم

٥-٣ العوامل المؤثرة في اكتساب القيم

٥-٤ مراحل اكتساب القيم

٦- النمو الخلقي وعلاقته بالنمو القيمي

٦-١ الحكم الخلقي عند جون بياجيه

٦-٢ الحكم الخلقي عند لورانس كولبرك

٦-٣ دور الأسرة في تكوين الحكم الخلقي

٦-٤ النمو الخلقي والثقافة

٦-٥ الدين والقيم

٧- اضطرابات القيم

٨- أدوات قياس القيم

٨-١ مقياس ألبرت فيدونون لندزي للقيم

٨-٢ قائمة القيم الفارقية لبرانس

٨-٣ بطارية القيم الشخصية

٨-٤ مقياس القيم

٨-٥ مسح القيم

خلاصة الفصل

تمهيد

إن الاهتمام بموضوع القيم ليس وليد العصر الحاضر فحسب، بل هو قديم جدا قدم البشرية، وكذا الحديث عنه، وتعددت مجالات دراسته بصورة جعلت مفهوم القيم من المفاهيم الفلسفية التي دار حولها جدل كبير وخلاف بين المدارس والمذاهب الفلسفية والعلمية المختلفة.

وقد ساهم الفيلسوف كانط Kant في إخراج القيم من منظورها الفلسفي واعتبار أنها تصورات جديدة وموضوعات متغيرة، وظهر ذلك جليا من خلال المؤلفات والبحوث والدراسات التي تمثل القيم موضوعا لها، ويقول جون ديوي في هذا الصدد :" إن الآراء حول موضوع القيم تتفاوت بين الاعتقاد من ناحية بأن ما يسمى قيما ليس في الواقع سوى إشارات انفعالية وتعبيرات صوتية، وبين الاعتقاد في الطرف المقابل بأن المعايير القبلية العقلية ضرورية؛ ويقوم على أساسها كل من الفن والعلم والأخلاق ".

سنحاول عبر هذا الفصل التطرق لكل العناصر التي تحاول فهم القيم في كل أبعادها النفسية الاجتماعية والتربوية وحتى الثقافية.

١- طبيعة القيم وعناصرها :

يؤكد الكثير من العلماء على صعوبة تحديد طبيعة القيم من حيث المحتوى أو الهدف نتيجة لاختلاف الأسس التي يستند إليها مفهوم القيم وباختلاف الأطر المرجعية التصورية لكل باحث في تفسيره لهذه القيم.هذا الاختلاف جعل العلماء يرون أن مفهوم القيم ينطوي تحت مفاهيم رئيسية تتمثل في:([1])

١-١ القيم كرغبات وحاجات واهتمام:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن القيم كامنة في التعبير عن رغبات وحاجات واهتمامات وميول الأفراد، أي أن القيمة لا تكمن في الشيء أو الموضوع، بل يكمن في ذات الفرد ومن ثم فإنه يسقط هذه القيمة على الموضوع. وهكذا فالقيم من هذا المنظور تعد خصائص نسبية وهي ما يعبر عنها أحيانا بكلمة علائقية Relationnel بمعنى أنها قيم مرتبطة بأشخاص معنيين، وليس مجرد خصائص تتميز بها الأشياء، فهي ترتبط بما هو مرغوب فيه.

القيم من المنظور الشخصي أو الذاتي تعبر عن الصفات الشخصية التي يفضلها أو يرغب بها الناس في ثقافة معينة.([2]) أي أنها تمثل لديهم رغبة شخصية أو جماعية، ولذا عرفوا القيمة بأنها المرغوب فيه، أي أنها شيء مرغوب من الفرد أو الجماعة الاجتماعية.([3])

إلى جانب اعتبار القيم أشياء مرغوب فيها يرى أصحاب هذا الاتجاه أنها تعبر عن حاجات الفرد، ويعبر مالينوفسكيMalinowski عن ذلك بأن القيم هي اتصال قوي وحتمي بموضوعات وقيم أو معايير أو أشخاص ينظر إليهم باعتبارهم وسيلة لإرضاء حاجات الكائن.([4])

كما يرون بأنها تعبر عن اهتمامات الأفراد، فالقيمة لديهم وليدة الاهتمام ويؤكد ذلك بيري Perry بقوله :" إن القيمة هي الاهتمام وأنه إذا كان أي شيء أيا كان موضوع اهتمام فإنه يكتسب قيمة.([5])

---

[1]- فوزية فهيم دياب (١٩٦٦)، مرجع سابق، ص: ١٦

[2]- عاطف غيث(١٩٦٢): **علم الاجتماع**، دار المعارف ، الإسكندرية، ص:١٣٧

[3]- أحمد بيومي (١٩٨١)مرجع سابق، ص: ١٣٧

[4]- نفس المرجع ، ص: ١٤٩

[5]- فوزية فهيم دياب، مرجع سابق، ص: ٢٠

لقد حاول العلماء توضيح مفهوم القيمة وجعلوها مرادفا للرغبة أو الحاجة أو الاهتمام على الرغم من أن الحاجات والدوافع والرغبات عامة، بينما القيم تختلف من ثقافة إلى أخرى، لذا نجد بأن القيم أشمل من الحاجات والرغبات والاهتمامات، لأن هذه الأخيرة تنظمها وتسيطر عليها القيم التي لا تسمح بتحقيقها للفرد إلا تحت ضوابط يرتضيها المجتمع، بل كثيرا ما تقف القيم حائلا في تحقيق بعض الحاجات والرغبات التي يرفضها المجتمع.

١-٢ القيم كاتجاهات ومعايير ومعتقدات:

يرى بعض العلماء المهتمون بالقيم أن هذه الأخيرة لا يمكن فهمها إلا في ضوء الاتجاهات والمعايير والمعتقدات، ويرون مرد ذلك إلى أن العلاقة بين القيم والاتجاهات أكثر تعقيدا بسبب الحقيقة التي تقرر أن نفس القيمة قد تؤدي إلى عدة اتجاهات مختلفة بل ومتعارضة أحيانا بين الأفراد.

ومن أنصار هذا الرأي روز Rose الذي يرى بأن القيمة هي الاتجاه حيث يعرفها على أنها :" اتجاه يعقد بواسطة الفرد أو الجماعة نحو موضوع مادي أو غير مادي حقيقي أو خيالي. ([1])

ومن جهته يرى بوجاردس Bogardus أنه لا يمكن الفصل بين القيمة أو الاتجاه وذلك لأن: "كل اتجاه مصحوب بقيمة ما وأن الاتجاه والقيمة جزءان لعملية واحدة ولا معنى لأحدهما دون الآخر".([2])

القيم من هذا المنظور تقابل المفهوم السيكولوجي للاتجاه، حيث يؤكد توماس وزنانيسكي Thomas et Znanicki أن القيمة هي شيء له محتوى من السهل الوصول إليه، وله معنى لأعضاء الجماعة الاجتماعية.([3])

وهكذا فإن أنصار هذا الرأي يرون بأن القيم والاتجاهات شيء واحد وهو يعبر عن رؤية قاصرة لأن النظر إلى مفهوم الاتجاه كما حددته انستازي هو: "الاستجابة الايجابية أو السلبية تجاه مجموعة خاصة من الميزات". وقد حدد روكيش Rokeach الفروق بين القيمة

---

[1]- محمد أحمد بيومي، مرجع السابق، ص، ٢٤

[2]- فوزية دياب، مرجع سابق، ص: ١٥١

[3]- أحمد بيومي، ص: ١٥١

والاتجاه على اعتبار أن الاتجاه يتركز حول موقف أو موضوع معين، أما القيمة أكثر عمومية، فالفرد يمتلك عددا قليلا من القيم ربما لا يتعدى العشرات بينما تصل الاتجاهات إلى الآلاف.

إضافة إلى أن تكوين الاتجاهات أقل تعقيدا من تكوين القيم لأن تكوين القيم يحتاج إلى فترات طويلة حتى تأخذ مكانها في السلم القيمي للفرد أو الجماعة، فالقيم تتميز عن الاتجاهات في صعوبة تفسيرها لأن جذورها ممتدة في حياة الإنسان إلى السنة الأولى من عمره.

أما العلماء الذين يرون بأن القيم محددات للشخصية تظهر في صورة معايير، فهم يستندون على اعتبار القيم معايير يتوافر لها الثبات بمرور الوقت وتستخدم كدليل أو مقياس لمعرفة الصواب الذي يوافق عليه المجتمع، لكن من المفيد أن نشير إلى أن المعايير أعم وأشمل من القيم، فالمعايير بمثابة أطر يرجع إليها الفرد كي تكون مرشدا لما ينبغي أن يكون عليه سلوكه.([1])

هذا يعني أن المعيار يضم قيما واتجاهات وعادات وغيرها من محددات السلوك، فالمعايير هي قواعد السلوك أما القيم فهي مستويات من التمنيات المستقلة عن بعض المواقف، كما أن القيم هي تصورات حول ما هو حول مرغوب فيه على مستوى أكثر عمومية في حين أن المعايير تصورات حول الشيء نفسه على مستوى الخصوصية.

ومن جهة أخرى يرى فريق آخر أن المعايير ما هي إلا معتقدات، ويُعد روكيش أحد أنصار هذا الاتجاه، حيث يرى أن القيمة ما هي إلا اعتقاد على درجة عالية من الثبات والدوام سواء على المستوى الفردي الجماعي، لكن أنصار هذا الرأس أهملوا أن المعتقد هو حكم أو رأي أو اتجاه يتعلق بالواقع الاجتماعي يعتنقه الفرد باعتباره صحيحا، وبذلك فهو يختلف عن مفهوم القيمة التي تعد نسقا شبه مقنن يستخدمه الفرد في تقدير المواقف الاجتماعية.

١-٣ القيم كأنماط مساعدة في توجيه السلوك:

---

[1] - أحمد عبد العزيز سلامة(١٩٨٠): **علم النفس الاجتماعي**، دار النهضة العربية، القاهرة، ص: ٦٥

يـرى أنصـار هـذا الاتجـاه أن القـيم مـا هـي إلا جانـب مـن جوانـب السـلوك، ويحـدد فولسومFolsom مفهوم القيمة في هذا الإطار على أنها:" نمط أو موقف وجانب من سلوك الإنسان أو المجتمع أو ثقافة أو بيئة طبيعية، أو علاقات متبادلة تمارس من شخص أو أكثر كما لو كانت غاية في حد ذاتها، وأنها شيء يحاول الناس حمايته والاستزادة منه والحصول عليه، ولا يشعرون بالسعادة ظاهريا عندما ينجحون في ذلك.([1])

القيم من وجهة نظر أنصار هذا الاتجاه وبهذا المفهوم تساعد على تفسير السلوك وتحديده ويظهر ذلك من خلال نظرية الفعل الاجتماعي لبارسونز الذي يرى أن المعايير والقيم ذات طبيعة رمزية، فهي تجعل سلوك الفاعلين قابلا للفهم من جانب الآخرين ويصبح الفاعل من خلال المعايير والقيم قادرا على أن يفسر الموقف وأن يحدد المعالم والحدود التي يجب أخذها في الاعتبار في سلوكه.

ولا يفتقر دور القيم في ظل مفهوم تفسير السلوك، بل أنها تساهم في توجيه السلوك، ولذلك يرى باريت Barit أن القيم في قلب الحياة والعقل البشري، وتمثل تصورات من شأنها أن تفضي إلى سلوك تفضيلي أو محكات أو معايير للاختيار بين بدائل معينة للسلوك وأصحاب هذا الاتجاه لم يبتعدوا كثيرا عن أصحاب الاتجاهين السابقين، فهم قد اعتبروا القيم أنماطا للسلوك يمكن ملاحظتها أو هي باعثة للسلوك.

يتضح من خلال كل ذلك أن مفهوم القيم قد عولجت بطرائق واتجاهات مختلفة بعضها فلسفي وبعضها سيكولوجي أو سوسيولوجي، الأمر الذي أدى إلى تعارض المفاهيم وعدم التوصل من خلالها إلى مفهوم عام وشامل للقيمة.

إن أغلب العلماء في تعريفهم للقيم عبرت آراؤهم عن اتجاهات أصحابها أكثر مما عبرت عن موضوع القيمة، مما أدى إلى عدم تحديدها لمفهوم القيم وطبيعتها بدرجة كافية تجعلها تختلف في المحددات الأخرى للسلوك.

يمكن أن نصل في الأخير إلى حوصلة طبيعة القيم أنه يوجد اتجاهان متناقضان بخصوص هذه الطبيعة، يرى الأول أن القيم نسبية، ويرى الثاني أنها مطلقة. يمثل اتجاه "نسبية القيم" عدة مفكرين مثل:

---

[1]- أحمد بيومي، مرجع سابق، ص: ١٤٩

- السفسطائيون.
- س. فرويد.
- إميل دوركيم.
- جان بول سارتر.
- كارل ماركس.

أما اتجاه "مطلقية القيم" مفكرون آخرون مثل:

- أفلاطون.
- ماكس شلر.
- روني لوسين.
- لويس لافيل.[1]

لقد توصل علماء الاجتماع إلى تحديد عدة خصائص للقيم وهي تدخل ضمن الأنساق الكبرى الأربعة للفعل الإنساني وهي:

- الكائن.
- الشخصية.
- المجتمع.
- الثقافة.

ويعود الفضل إلى "بارسونز" في اعتبار "القيم" كمتغيرات في أنساق الشخصية والمجتمع والثقافة.

- القيم هي عبارة عن تعميمات من خلالها ترتبط الأفعال المختلفة ويمكن فهم فعل معين بأن له معنى.

- القيم مفاهيم تصورية أي أن القيم تصاغ في ألفاظ مطلقة ولكنها تُطبق في حدود موقفية عامة، إن الصياغة المطلقة للقيمة تمثل رمزا أو تصورا غير كامل يعبر عن مجموعة من إدراكات خاصة بالقيمة.

---

[1]- الربيع ميمون، **نظرية القيم في الفكر المعاصر**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص ص. ١٤٥، ٢٢٨.

- كل ثقافة لها نسقا قيميا متميزا وبالتالي فعلى علماء الاجتماع أن ينظروا على القيم على أنها عناصر الثقافة أو المعاني المشتركة للمجتمع الذي يحمل ثقافة معينة.
- هناك علاقات منطقية ووظيفية بين القيم ونسق المفاهيم الثقافية العامة.[١]

ورأى "طوماس" و"زنانييكي" (Thomas et Znaniecki, 1918) أن القيم تشكل العالم الموضوعي، وهي كل المضامين الاجتماعية التي يمكن لأفراد الجامعة الوصول إليها مع الدلالة التي تعطي لها ابتداءً من الغذاء والآلات ووصولا إلى الأساطير والنظريات العلمية.[٢]

ويشير سميح أبومغلي ومن معه[٣] إلى العديد من خصائص القيم وهذا موجز لها:

- القيم إنسانية: أي ترتبط بحياة الإنسان.
- القيم اجتماعية: تنال قبول واتفاق المجتمع.
- القيم ذاتية: كل يحس لقيم بطريقته الخاصة.
- القيم عمومية: تشكل طابعا عاما ومشترك بين جميع فئات المجتمع.
- القيم نسبية: تختلف القيم فرديا[*] وزمنيا ومكانيا وثقافيا.
- القيم متغيرة: تتصف القيم بثبات نسبي، وهي قابلة للتغيير.
- القيم تجربة: لا توجد إلا بشخص ولشخص يمر بها في فعل حقيقي هو فعل "التقدير" وكل نوع منها تقدير خاص به.
- القيم هرمية: تترتب عند كل شخص حسب أهميتها والتفضيل الذي يولى لها.
- تتضمن القيم نوعا من الرأي أو الحكم على شخص أو شيء معين.
- تتضمن القيم الوعي بمظاهر الفرد الإدراكية والوجدانية والدافعية.

---

(١) – محمد أحمد بيومي، مرجع سابق، ص ص. ١٥٩، ١٦٠.

(2) - Roger Bastide, **Sociologie et psychanalyse**, 2eme ed. Paris: P.U.F, 1972, P. 130.

(٣) – سميح أبو مغلي، ومن معه، مرجع سابق، ص. ١٦٧.

(*) – تختلف القيم من شخص إلى شخص.

- القيمة ذات طرفين متناقضين: خير أو شر، حق أو باطل.

وتضيف سهير كامل أحمد خصائص أخرى كـ:

- القيم هي جوهر الثقافة.
- تمثل القيم جانبا هاما من ثقافة المجتمع.
- القيم هي جوهر الثقافة.
- كلما تشابهت القيم بين الأفراد كلما كان التفاعل بينهم فعالا والعكس صحيح.
- هناك ارتباط وثيق بين الشخصية والقيم.
- تتأثر القيم بالثقافة، فمثلا أفراد الطبقات المختلفة ثقافيا لهم قيم متباينة.
- القيم هي اتجاهات مركزية نحو ما هو مرغوب أو غير مرغوب.
- والقيمة ظاهرة متطورة فهي تنسب إلى معايير مكان وزمان معين.
- القيم إنسانية.
- القيم تلقائية ليست نتائج الفرد بل هي حتى صنع المجتمع ككل.
- تتفاوت أهمية وشدة القيم.
- القيم موضوعية.
- تمثل القيم مظهرا من مظاهر السلطة لأن ليدها قوة ملزمة.[1]

١-٤ عناصر القيم:

يميز روكيتش ثلاثة عناصر للقيم، وهي عناصر متداخلة ومتشابكة فيما بينها وهي:

أ) العنصر المعرفي: يتضمن إدراك موضوع القيمة، ويمثل معتقدات الفرد وأحكامه وأفكاره ومعلوماته عن موضوع القيمة.

ب)العنصر الوجداني:يتضمن الانفعال بموضوع القيمة أي الميل إليه أو النفور منه.

ج) العنصر السلوكي: ويتضمن ميول الشخص واستعداداته للاستجابة وإبراز المضمون السلوكي للقيمة في تفاعله الاجتماعي.[1]

---

[1] – سهير كامل أحمد(١٩٨٣): **الثقافة والشخصية، بحث في علم الاجتماع الثقافي**، دار النهضة العربية، بيروت، ط٢ ص ص. ١٨٥-١٩٠.

ويذهب ت. بارسونز في نفس الاتجاه ويحدد هو أيضا نفس العناصر الثلاثة المكونة للقيم، حيث رأى أن العنصر المعرفي يبرز في عملية "الاختيار" والعنصر الوجداني في عملية "التقدير" وأخيرا العنصر السلوكي في "الفعل" و"السلوك".[٢]

ورأى منصور أحمد عبد المنعم أن العنصر المعرفي يشمل المعارف والمعلومات النظرية ويساعد على تعلم القيم، ويشمل العنصر الوجداني انفعالات وأحاسيس الفرد. وأخيرا تترجم القيمة ظاهريا بواسطة العنصر السلوكي للقيمة بمعنى ممارسة الشخص للقيمة وأدائه لها فعليا.[٣]

٢- وظائف القيم :

تتميز القيم عن غيرها من مظاهر الشخصية بأنها تهتم بالأهداف البعيدة، كما أنها تترتب فيما بينها ترتيبا هرميا، أي أن بعض القيم تسيطر على غيرها أو تخضع لها، وهذا يجعل وظائف القيم تختلف عن غيرها من محددات السلوك ومظاهر الشخصية، ومن الوظائف الرئيسية للقيم ما يلي: ([٤])

- أن القيم من أهم العوامل التي تحفز الإنسان على العمل وتوجيه سلوكه وتحدد أهدافه.
- إن القيم هي العنصر الأول الذي يحقق الصلة بين الإنسان وما يحويه المجتمع من عوامل ثقافية واجتماعية، كما أن نسق القيم يساهم في تحديد أنماط العلاقات بين الناس.
- تحدد القيم اختيار أساليب إشباع الحاجات وإرضاء الميول وتحديد الأفضلية بين المطامح.

يمكن أن نستنتج من خلال ما تقدم أن المفهوم العام للقيمة والذي يحقق الوظائف الثلاثة تتضمن الموازين والمقاييس وغيرها من التقييمات التي يتفق عليها أفراد المجتمع والتي

---

(١) – منصور أحمد عبد المنعم: "**دور القيم في تعليم الجغرافيا في المدارس الثانوية**"، في. نورمان منير حسن فهمي، القيم الدينية للشباب من منظور الخدمة الاجتماعية، مرجع سابق، ص. ٩٣.

(٢) – محمود فتحي عكاشة، محمد شفيق زكي، **المدخل إلى علم النفس الاجتماعي**.دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص. ١٤٥.

(٣) – سميح أبو مغلي، ومن معه، مرجع سابق، ص. ١٦٩.

٤– خزر عبد الحميد (٢٠٠٦)، مرجع سابق، ص: ٣٧

يستطيعون من خلالها وزن أو قياس أو تقويم أو الحكم على الأشياء أو الموضوعات ذات الصلة بهم سواء كانت هذه الأمور تشبع حاجاتهم وتناسب ميولهم أو كانت تتماشى مع معتقداتهم أو تحديد سلوكهم.

والقيم بهذا المفهوم تكون أشمل واعم من الميول والحاجات والاتجاهات والمعتقدات، كما أنها ملزمة للأفراد وتتسم بالموضوعية على الرغم من اختلافها بمختلف الأماكن والعصور أو خضوعها لذاتية القيم في بعض المجتمعات وعلى الرغم من الصفة الإيجابية للقم، إلا أنه توجد بعض القيم ذات الطابع السلبي، وبذلك تؤدي القيم دورا هاما في التوجيه والإرشاد النفسي، حيث أنها من أهم الخصائص الشخصية في نظر الاختصاصيين النفسيين ويجعلهم يتعرفون على الفروق بين الأفراد وتوجيه العلاج النفسي المناسب. فالقيم تساهم في وضع معايير الانتقاء لأفراد الصالحين لبعض المهام كما تساهم أيضا في تحديد أهداف التعليم والإرشاد وأيضا العلاج.

تؤدي القيم دورا فعالا في التوافق النفسي والاجتماعي للأفراد من خلال تعديل السلوك وفقا للدين والعرف والتقاليد، كما تعمل كمعيار أساسي يوجه سلوك الفرد نحو الأهداف وتزوده بالفاعلية الايجابية لتحقيق الهدف.

تساعد القيم في ربط أجزاء الثقافة ببعضها البعض وتعطيها بعدا عقليا يستقر في ذهن أعضاء المجتمع المنتمين إليه. كما تؤدي دورا تربويا مهما في إيجاد بيئة تربوية مناسبة بين الأفراد في المواقف المختلفة عند وضع الأفراد في جماعات ذات إطار قيمي متشابه لتكون أكثر تفاعلا.

وقد لخص العلماء الأدوار التي تؤديها القيم في حياة الفرد فيما يلي:

- تمكن الشخص من معرفة ردود أفعال الآخرين.
- تساعد على معرفة ما يتوقعه الفرد من الآخرين.
- تعد مرجعا للحكم على سلوك الأفراد.
- تساهم في بناء الكيان النفسي للفرد.

- تساعد الفرد على تحمل المسؤولية.[١]
- تزويد الأفراد بمعنى وهدف الحياة.
- إيجاد تشابه أخلاقي بين أفراد المجتمع.
- ربط أجزاء الثقافة بعضها ببعض لتحقيق انسجامها.
- تحديد مشكلات المجتمع فلا يمكن تحديد هذه المشكلات بدون تعريفها عن طريق القيم.[٢]

يرى ميكيلي(R.Mucchielli,1994) أن القيم هي التي تصنع الاتجاهات، فهذه الخبرة هي التحقيق الملموس للقيم[٣]، كما تتخذ القيم كمعلم لفهم السلوكات والأحداث والأشخاص والشخص ذاته، تعبر القيم عن الاتجاهات وتشكلها وتوجه وتعقلن تصرفات الإفراد.

إن النسق القيمي الذي يمثل الترتيب الهرمي لمجموعة من القيم التي يتبناها الفرد أو أفراد المجتمع، ويحكم سلوكه أو سلوكهم دون الوعي بذلك، والقيمة في إطار هذا النسق هي عنصر من عناصره التي تتفاعل معا من أجل تأدية وظيفة معينة بالنسبة للفرد هي تنظيم سلوكه، ويؤدي هذا النسق القيمي العديد من الوظائف منها: ([٤])

- تزويد أعضاء المجتمع بمعنى الحياة والهدف الذي يجمعهم من أجل البقاء.
- يقوم النسق القيمي بربط أجزاء الثقافة حتى تبدو متناسقة.
- يحدد النسق القيمي لكل مجتمع مشكلات هذا المجتمع، فالمشكلة لا يكون لها كيان أو وجود طالما إنها لم تعرف عن طريق القيمة.

٣- تصنيف القيم:

لقد اختلف العلماء في تصنيف القيم مثلما اختلفوا في تحديد مفهومها ومصادر اشتقاقها ومعايير الحكم عليها، وهو راجع للاختلاف بين العلماء والباحثين في مجال القيم،

---

[١] - سميح أبو مغلي، ومن معه(٢٠٠٢):**التنشئة الاجتماعية للطفل**، دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ص. ١٦٧.

[٢] - سهير كامل أحمد(٢٠٠١): **علم النفس الاجتماعي بين التنظير والتطبيق**،مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية ص. ١٩٠.

[3] - M.B. Cazals – Ferré, P. Rossi, op.cit, P. 26.

[٤]- شبل بدران (٢٠٠٢)، مرجع سابق، ص: ٣٣

واختلاف فلسفاتهم ومعتقداتهم أو طبيعة المجال الذي يعملون فيه أو الأسس النظرية والأطر المرجعية التي يستندون عليها.

فتصنيف علماء الاجتماع للقيم يختلف عن تصنيف علماء النفس الذي يختلف عن تصنيف علماء الفلاسفة والاقتصاديين، كما أن أصحاب العقائد السماوية يختلفون عن تصنيف العلمانيين.

لقد ذهب العلماء والباحثين عند تصنيفهم للقيم مذاهب شتى، فمنهم من صنفها على أساس النوع: قيم عضوية، قيم شخصية، قيم ثقافية، بينما آخرون صنفوها حسب المحتوى أو حسب ما تعكسه من أنشطة إنسانية مثل القيم النظرية، القيم الاجتماعية والدينية، والقيم السياسية، وغيرها.([1])

وهناك تقسيم آخر قائم على الهدف من القيم فقسموها إلى قيم غائية خارجية وكامنة ووسيلية، وقدم نيكولاس ريتشر N.Rescher محاولة لعرض مختلف أسس تصنيف القيم فجاء عرضه مقسما على ستة أسس وهي:([2])

* التصنيف على أساس محتضني القيمة.
* التصنيف في ضوء موضوعات القيم.
* التصنيف على أساس الفائدة والمتعة.
* التصنيف على أساس الأعراض والأهداف.
* التصنيف على أساس العلاقة بين محتضني القيمة وبين الفائدة.
* التصنيف على أساس العلاقة بين القيم ذاتها.

ومن جهته ميز دوركايم ا القيم في ضوء الأساس العلماني والأساس الديني، وهو بذلك يختلف عن كلاكهون الذي يصنف القيم على أساس الشكل، المحتوى والقصد والعمومية والشدة والدرجة والتنظيم.

لقد حصر العلماء تصنيفهم للقيم وفق تصنيفين أساسيين حسب الترتيب التالي: تصنيف عام، وتصنيف خاص.

---

[1] – محمد أحمد بيومي(١٩٨١)، مرجع سابق، ص: ١٦٤

[2] – خزر عبد الحميد (٢٠٠٦)، مرجع سابق، ص، ٥٠

٣-١ تصنيف عام للقيم : التصنيف العام للقيم صنف حسب ثمانية أصناف هي:

٣-١-١ تصنيف حسب المحتوى:

- القيمة النظرية: يتميز الأشخاص هنا بنظرة موضوعية نقدية ومعرفية وتنظيمية.
- القيمة النظرية: يتميز الأشخاص بنظرة عملية.
- القيمة النظرية: يتميز الأشخاص بالابتكار والإبداع والفن والجمال.
- القيمة النظرية: يتميز الأشخاص بخدمة الغير والحب والحنان.
- القيمة النظرية: يتميز الأشخاص بقدرتهم على قيادة وتوجيه الآخرين.
- القيمة النظرية: يتميز الأشخاص بالتدين والتدبر والأخلاق.

٣-١-٢ تصنيف حسب الغاية أو الأهمية:

- قيم غائية: هي غية في حد ذاتها مثل الأمانة والإخلاص.
- قيام وسيلية: تعتبر وسائل لغايات أبعد مثل "التنظيم" الغاية" "النجاح".

٣-١-٣ تصنيف حسب الشدة:

- قيم ملزمة أو آمرة: يجب أن تكون موجودة مثل "العلاقة بين الأبناء والأولياء ".
- قيم غير ملزمة أو تفصيلية: يفضل أن تكون موجودة مثل "إكرام الضيف".
- قيم مثالية: يرجى أن تكون موجودة.

٣-١-٤ تصنيف حسب الشيوع:

- قيم عامة: تنتشر في كامل المجتمع.
- قيم خاصة: ترتبط بجماعة خاصة أو بمواقف ومناسبات معينة.

٣-١-٥ تصنيف حسب الظهور:

- قيم ضمنية: لا تظهر مباشرة بل يستدل عليها بملاحظة الاتجاهات والميول والسلوكات.
- قيم صريحة: قيم يصرح بها ويعبر عنها الأشخاص بالكلام.

٣-١-٦ تصنيف حسب المدة:

- قيم طويلة المدى: أو قيم "دائمة نسبيا": تبقى زمنا طويلا مثل القيم المرتبطة بالتقاليد والعرف.

- قيم قصيرة المدى: أو قيم "عابرة": هي وقتية سريعة الزوال.[1]

٣-١-٧ تصنيف حسب العمومية:

- قيم عامة: وهي التي تميز الاتجاه السائد في مجتمع معين.
- قيم خاصة:ويعبر عنها بتلك القرارات أو الاختبارات التي يتخذها الفرد في موقف معين استنادا إلى إطاره القيمي.[٢]

٣-١-٨ تصنيف حسب الديمومة:

- قيم دائمة: قيم دائمة نسبيا.
- قيم مؤقتة: قيم عابرة.

٣-٢ تصنيف خاص للقيم: تصنف القيم الخاصة إلى الأصناف التالية هي:

٣-٢-١ تصنيف القيم حسب شيلر: يذكر شيلر عدة أنواع من القيم وهي:

- قيم عليا: القيم التي تدوم مدة أطول، ولها قابلية أقل للانقسام ويكون الإشباع فيها أعمق وبالتالي فهي الأقل نسبة.
- قيم دنيا: عكس القيم العليا.
- القيمة الشخصية أو قيمة الشيء: هي قيم "الشخص" في حد ذاته، وقيم الفضيلة، وهي أسمى من "قيم الأشياء". والقيم الأخلاقية هي في أصلها قيم شخصية لأن الشخص هووحده الذي يوصف بأنه خير أو شرير.
- القيمة الشيئية أو قيمة الشيء: تنصب جميعا على التجارب بوصفها موضوعات قيمة، وتدور بصفة خاصة حول خبرات الثقافة والحضارة.
- القيم الروحية: ويدخل ضمنها القيم القانونية والجمالية والعقلية والدينية ومن أمثلتها "الجميل" و"القبيح" و"العادل" و"غير العادل"... الخ.
- القيم الحسية: ويدخل ضمنها "الملائم" و"غير الملائم".
- القيم الحيوية: ويدخل ضمنها "الرفيع"، و"الوضيع"، و"الممتاز"، و"المبتذل"، و"الصحي" و"غير الصحي".[1]

---

[1] – سهير كامل أحمد، مرجع سابق، ص ص. ١٩١-١٩٣.

[٢]– شبل بدران(٢٠٠٢)، مرجع سابق، ص: ٢٨

٣-٢-٢ تصنيف القيم حسب روكتش: يميّز روكتش نوعان من القيم:

- قيم غائبة: تتضمن نوعين فرعين من القيم: قيم خاصة بالفرد (قيمة تقدير الذات).
- وقيمة خاصة بالعلاقات بين الأشخاص (قيمة السلام العالمي).
- قيم وسيلة: تتضمن أيضا فرعين من القيم: قيم أخلاقية (قيمة الإهانة) وقيم الكفاءة (المنطقية[*]).

لابد من الإشارة إلى أن عدد القيم الغائية لا يماثل بالضرورة عدد القيم الوسيلية.

٣-٢-٣ تصنيف القيم حسب "موريس" (Morris, 1956): [٢]

- القيم المتصورة: يكشف عنها من خلال الرموز العاملة في مجال السلوك التفضيلي، هي عبارة عن تصورات مثالية لما يجب أن يكون، وعلى ضوئها يتم الحكم على الفعل أو السلوك.
- القيم الموضوعية: التي يتم وضعها في سياق تفاعلي داخل الجماعة الواحدة.

٣-٢-٤ تصنيف القيم حسب بوخ (Pugh, 1977)

يقسم بوخ القيم إلى قسمين هي:

- قيم أو لية: تخص الحاجات البيولوجية.
- قيم ثانوية: تخص الجانب الاجتماعي والأخلاقي.[٣]

٣-٢-٥ تصنيف القيم حسب زهران عبد السلام وسرى إجلال محمد (١٩٨٥)

---

[١] – رمضان الصباغ، مرجع سابق، ص ص. ٦٧، ٦٨.

[*] – المنطقية (logicité)

[٢] – عبد اللطيف محمد خليفة(٢٠٠٥): **مظاهر التغير في نسق القيم وأسبابه لدى الشباب الجامعي في المجتمعات العربية عامة والمجتمع المصري خاصة**، في مجلة دراسات عربية في علم النفس المجلد ٤، العدد الأول يناير ٢٠٠٥، ص. ٤٤.

[٣] – نفس المرجع، ص. ٢٨.

هناك نوعان من القيم حسب زهران وهي:

- القيم السائدة: هي القيم الموجودة بالفعل والتي تظهر في شكل سلوكات وأفعال.
- القيم المرغوبة: هي القيم غير الموجودة بالضرورة والتي يرغبها الفرد.[١]

٣-٢-٦ تصنيف القيم حسب عبد اللطيف محمد خليفة:

يستعمل عبد اللطيف محمد خليفة نوعين من القيم في دراساته في:

- نسق القيم المتصور: هو تصور الفرد لمدى أهمية كل قيمة من القيم موضوع الاهتمام بالنسبة له.
- نسق القيم الواقعي: يقصد به مدى تطابق القيم المتصورة مع السلوك الفعلي للفرد.

٣-٢-٧ تصنيف القيم حسب رمضان الصباغ:وهي مقسمة وفق ما يلي:

- القيمة الموجبة والقيمة السالبة: القيمة الموجبة تكون في الجانب الموجب أو المرغوب فيه من الشيء. أما القيمة السالبة، ففي الجانب السالب أو غير المرغوب فيه، وهناك من يرى أن القيمة هي فقط تلك القيمة الإيجابية، أما القيمة السالبة فهي ليست قيمة بل هي "عديمة القيمة". وينتقد أصحاب هذه الرؤية لأن الشيء ذو القيمة السالبة يمكن أن يكون قيمة إيجابية (فنيا أو جماليا أو أدبيا).
- القيمة الأصلية والقيمة الوسيلية: القيمة الأصلية هي القيمة في ذاتها أي تكون هي غاية في حد ذاتها، أما القيمة الوسيلية فهي التي تكون وسيلة مباشرة أو غير مباشرة للقيمة الأصلية.
- القيمة الفعلية والقيمة الكامنة: القيمة الفعلية هي قيمة ممكنة ولكن لديها القدر الكافي لإثارة الاهتمام في القيمة الفعلية يكون هناك اهتمام ينصب على الموضوع، أما القيمة الكامنة عندما لا يكون الاهتمام بها موجود.[٢]

٣-٢-٨ تصنيف القيم حسب ميشال بورن: يذكر م. بورن[٣] ثلاث أنواع هي:

- القيم المادية (Valeurs Matérielles).

---

[١] - نفس المرجع، ص. ١٠٤.

[٢] - رمضان الصباغ، مرجع سابق، ص ص. ٦٢-٦٧.

[3] - Michel Born(2003): **psychologie de la délinquance**, Boeck et Larcier, S.A, Bruxelles, P. 261.

- القيم الاجتماعية (Valeurs Sociales).
- القيم الأخلاقية (Valeurs Morales).

٣-٢-٩ تصنيف القيم حسب "حامد زهران" و"إجلال يسرى": هناك نوعان :

- القيم السائدة: القيم الموجودة فعلا والمترجمة سلوكيا.
- القيم المرغوبة: القيم التي يرغب الفرد في امتلاكها.[١]

٣-٢-١٠ تصنيف القيم حسب "ج. سانتيانا"G. Santayana, رأى سنتيانا أن القيم نوعان: إيجابية وتتمثل في القيم الجمالية، وسلبية تتمثل في القيم الأخلاقية.[٢]

٣-٢-١١ تصنيف القيم حسب عقيل حسين: تصنيف عقيل وأبو التمن يحتوي على ٤٤ قيمة، و ٢٢٠ بديلا بلا معياريا، وضمنها ستة مجالات وفق الآتي: ([٣])

- مجال القيم الاجتماعية.
- مجال القيم الإنتاجية.
- مجال القيم السياسية.
- مجال القيم النفسية.
- مجال القيم الذوقية.
- مجال القيم الثقافية.

٤- وسائط نقل القيم إلى الفرد:

يشكل المجتمع من خلال أجهزته، نظمه، ومؤسساته مجالا تربويا شاملا، إذ ينظر لتلك المؤسسات باعتبارها نظم للتفاعل الاجتماعي البناء والهادف من أجل إشباع حاجات الفرد والمجتمع،([٤]) باعتبار أنه من خلال هذا التفاعل تتحدد العلاقات الاجتماعية وأساليب الاتصال الجماهيري وأنماط السلوك التي يهدف إليها المجتمع؛ فإن هذه المؤسسات الاجتماعية على مختلف مستوياتها وتنظيمها وفق أنماط سلوكية وفكرية معينة.

---

[١] - عبد اللطيف محمد خليفة(٢٠٠٥)، مرجع سابق، ص.٥٥.

[٢] - رمضان الصباغ، مرجع سابق، ص. ٩٢.

[٣]- عقيل حسين عقيل (٢٠٠٤): **خماسي تحليل القيم**، دار الكتاب الجديد ، بيروت، لبنان، ص: ٩٨

[٤]-شبل بدران (٢٠٠٢)، مرجع سابق، ص: ٦١

هناك العديد من الطرق التي تحاول بواسطتها كثير من المؤسسات نقل قيمها إلينا بقصد تأهيلنا لكي نصبح قادرين على التفاعل الايجابي ضمن النسق القيمي من خلال أداء كل واحد منا لدوره في المجتمع بصورة فعالة وهذه العملية مستمرة طوال حياة الفرد، وتقوم بها مؤسسات عديدة تمثل مؤسسات التنشئة الاجتماعية(الأسرة، المدرسة، وسائل الإعلام، جماعة الرفاق...الخ).

تمارس هذه المؤسسات تأثيرات متباينة على الفرد تبعا للمرحلة العمرية التي يمر بها، ففي السنوات المبكرة تؤدي الأسرة دورا أساسيا في ذلك، ومع اتساع البيئة الاجتماعية للطفل تبدأ جماعة الرفاق والمدرسة في ممارسة أدوارها، كذلك التعرض لوسائل الإعلام، وقد تختلف تلك المؤسسات من حيث المبادئ التي تسعى لتأكيدها من قيم واتجاهات وذلك طبقا لظروف المجتمع.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك قدرا من التدخل بين تأثير كل منها في نفوس الأفراد بحيث لا يمكن عزل أثر إحداها على الأخرى، لكن لاعتبارات نظرية تقوم بعرض كل منها بصورة مستقلة، إلا أننا سنركز على دور الأسرة أكثر من المؤسسات الأخرى وذلك تماشيا مع أهداف ومعطيات موضوع الدراسة.

٤-١ الأسرة:

تتعدد الوسائط التربوية التي تتم من خلالها عملية التنشئة القيمية للطفل، إلا أن أكثر تلك الوسائط أهمية وتأثيرا في إكساب الطفل القيم الأسرة التي تعد من أهم المؤسسات الاجتماعية التي يعمل أفرادها على نقل القيم إلى الطفل، وتكتسب الأسرة هي المكانة لأنها هي التي تحدد لأبنائها ما ينبغي وما لا ينبغي أن يكون في ظل المعايير والقيم والسائدة.

فالأحكام القيمية لدى الطفل في المراحل العمرية المبكرة، عالم واسع وغير محدد، وذلك بسبب افتقاره إلى إطار مرجعي واضح من الخبرات، كما أن الطفل في بداية حياته لا يكون لديه ضمير أو مقياس لفهم القيم، فهو يسلك بطريقة غير أخلاقية لأنه لا يستطيع

التمييز بين ما هو صواب وما هو خطأ، ثم ينمو ميثاقه الأخلاقي في ضوء علاقته بالأفراد من أسرته.([1])

الأسرة هي التي تعمل على إشباع حاجاته الأساسية، كما أن التفاعل بين الأسرة والفرد يكون أشد كثافة وأطول زمنا، هذا إلى جانب العلاقة الانفعالية التي تربط الفرد بالأسرة وتحديد أهمية الأسرة من خلال الدور الذي تقوم به في عملية التنشئة الاجتماعية.

فالأسرة هي الجماعة الأولى التي تسعى لإشباع حاجات الطفل كما أمها تحدد مكانته ودوره في المجتمع، وتحدد ما يجب أن يكتسبه الفرد من خبرات وأفكار خارج نطاقها، وبذلك فهي حلقة الوصل بين الفرد ومجتمعه بما تحمله له من تراث وثقافة هذا المجتمع.
الأسرة هي الإطار العام الذي يحدد تصرفات الأفراد عن طريق نقل القيم المتوازنة والعادات والأعراف وقواعد السلوك والآداب العامة، وعلماء الأخلاق والتربية يضعون الأسرة في المكان الأول ويدركون أثرها في تكوين القيم وتوجيهها وتربيتها، حتى بعد انقضاء مرحلة الطفولة وخروج الطفل إلى المدرسة ثم معترك الحياة.([2])

ينظر الكثير من الباحثين في شؤون الأسرة أن التفكك الأسري أمر ذو علاقة بالتفكك في المجتمع الكبير لأن اتجاهات وقيم معايير أعضاء الأسرة تعكس ما هو موجود في الثقافة الكبرى والثقافات الفرعية، ولهذا كان التغلب على مشاكل الأسرة لا يرتكز على مقومات متصلة اتصالا نهائيا بالوحدات الأسرية فحسب، بل يجب أن يكون في الاعتبار تحريك العوامل الكبرى في المجتمع التي تنعكس في المدى القريب أو البعيد على الأسرة.([3])

الأسرة كمؤسسة اجتماعية لا توجد فراغ اجتماعي وإنما يحكمها في إطار الثقافة الفرعية الذي ينتمي إليه كما تتمثل في المستوى الاقتصادي والاجتماعي والديانة وغير ذلك من المتغيرات، ولهذا اعتبرت الأسرة بأنها المسئولة الأولى عن عمليات التنشئة الاجتماعية

---

[1]- عبد اللطيف محمد خليفة (١٩٩٢):**ارتقاء القيم**، في عالم المعرفة، عدد ١٦٠، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ص: ٩٠

[2]- أمين المصري (دون سنة): **لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها**، دار الفكر ، لبنان ص: ٢١٦

[3]- محمد عاطف غيث (١٩٦٥): **المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافي**، دار المعارف، القاهرة، ص: ١٣٦

التي يتعلم الطفل من خلالها خبرات الثقافة وقواعدها والقيم في صورة تؤهله فيما بعد لمزيد من الاكتساب، وتمكنه من المشاركة التفاعلية مع غيره من أعضاء المجتمع.([1])

ثم تقوم الجماعات الثانوية المختلفة الذي ينتمي إليها الفرد في مسار حياته الاجتماعية بدور مكمل بحيث يحدد الفرد قيما معينة يسير في إطارها، فالفرد يتنازل عن بعض القيم التي اكتسبها في الأسرة ليأخذ بغيرها مما تؤثر به في إطار مختلف الجماعات المرجعية التي ينتمي إليها.([2])

تعد الأسرة من أهم الجماعات الاجتماعية الأولية التي تتولى غرس قيم المجتمع وفي الوقت نفسه غرس القيم التي يعتنقها الأسرة ذاتها، وقيم الأسرة تتضمن كل أساليب الحياة والتفكير، كما أن الأسرة تقوم بدور وسيط في نقل التراث وإحيائه وتبسيطه، وتظل لسنوات طويلة هي المصدر الوحيد الذي يتوسط بين الطفل وثقافة المجتمع، ومن هذه الثقافة يمتص الكثير من المعايير والأحكام التي تؤثر على أسلوب حكمه على المشكلات أو حلها.([3])

وعلى الرغم من التغيرات التي تعرضت لها الأسرة الحديثة من حيث حجمها ووظائفها، فإنها ما زالت من أهم القوى الاجتماعية في التشكيل والتوجيه التربوي ونقل القيم إلى التي الفرد والمشاركة في الوضعية التعليمية عن طريق المتابعة والإشراف المنظم في كثير من الأحوال التي تقدم أبنائها المدرسي وانجازهم لواجباتهم المدرسية.([4])

إن ارتباط الفرد بالأسرة هو ارتباط عضوي عاطفي في صغره وكبره وعبر الأسرة يتم تشكيل الطفل لكونها أول من يمد الطفل بالنموذج القيمي الذي في السلوك الواجب على الطفل إتباعه حتى يستحق اكتساب عضوية الأسرة ويتم الاعتراف به وقبوله داخلها، فهي

---

[1]- محمد عاطف غيث(١٩٧٧): **دراسات في المشاكل الاجتماعية**، دار الكتب الجامعية، الإسكندرية ص ص: ١٤٧، ١٤٨

[2]- خزر عبد الحميد (٢٠٠٦): مرجع سابق، ص: ٤٢

[3]- نفس المرجع السابق، ص: ٤٣

[4]- سناء الخولي (١٩٧٩): **الزواج والعلاقات الأسرية** ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص: ٦١

تعمل كناقل لقيم وعادات وتقاليد المجتمع الذي ينتمي إليه الفرد وتحدد له وفقا لمكانتها الاجتماعية نوعية القيم الواجب عليها تشربها ليخرجها سلوكا في المستقبل.

ويمكن تلخيص دور هذا الوسيط التربوي الهام في عدد من الوظائف هي:([1])

- النقل: الأسرة تعتبر الأداء الأولي الأكثر أهمية في نقل ثقافة وقيم المجتمع للطفل، لأنها تسهم في تعريفه بالإطار الثقافي العام للمجتمع ومن ثم يتعرف على القيم والاتجاهات والأنماط الأسرية السائدة في مجتمعه.
- الانتقاء: حيث تقوم الأسرة بعملية انتقاء من بين عناصر الواقع الثقافي للمجتمع وما تراه هاما لتنقله للطفل.
- التقييم: تقوم الأسرة في إطار ما تنقله بعملية تقييم لما يتم انتقاؤه بالفعل قبل نقله للطفل لتفسيره ومن ثم تحديد قيمته في إطار معان ثقافية معينة.

*** الأسرة والقيم:**

شددت الدراسات التي أجريت حول "التنشئة الاجتماعية" على تأثير مختلف الأنساق المعيارية والمرجعية ونماذج سلوك المجتمع على تكوين شخصية الأطفال. إن ما يتعلمه الطفل وما يستخدله هي قواعد السلوك التي تنظم تفاعلاته مع الآخرين.

تتجدد الأنساق المعيارية من خلال الجماعة الأسرية، وذلك من خلال الكيفية التي تعيشها هذه الجماعة بالملموس والممارسات التي تكتشفها باستمرار.

عندما يولد الطفل يجد نفسه في جماعة لم يختارها، وهي جماعة تنتمي بدورها إلى سياق اجتماعي وثقافي معين يحدد ظروف وجودها ويعين (يخصص وضعها بالنسبة للجماعات الاجتماعية الأخرى. ويقترح عدد من القيم والنماذج التي توجه تصرفاته.

لا يتحصل الطفل على كل ثقافة مجتمعه الذي ينتمي إليه مرة واحدة بل يحصل فقط على فرع منه، تكون جماعته الأسرية وثيقة الصلة به، أما مضمونه فيصمم بالتكامل أو التعارض مع الجماعات الأخرى.[2]

---

[1]- شبل بدران (٢٠٠٢)، مرجع سابق، ص: ٦٢

[2] - Verena Aebischer(1998), **Dominique obérée, le groupe en psychologie sociale**. 2eme, Paris: Dunod, P. 41.

الأسرة هي أول تجربة اجتماعية للطفل لأنها جماعة مؤسس يستلزم تخصص في الأدوار والتوقعات المرتبطة بهذه الأدوار. وأيضا هي نسق معياري، مرتبط بالنسق الاجتماعي والثقافي السائد، يسير العلاقات بين أعضائه والخارج.

والأسرة غشاء وقاية من الخارج وهي أيضا وسيط لانتقال عدد من القيم، والمثاليات وأنماط التفكير والفعل السائدة في المجتمع.[1]

٤-٢ المدرسة:

المدرسة هي مؤسسة تربوية تعليمية تتميز ببناء وهيكل حضاري وفق مقاييس عالمية، بحيث تلم بكل الأطوار التعليمية والخصائص الترفيهية، فإلى جانب قاعات التدريس توجد الإدارة.([2]) فهي وسط يجمع بين جيلين : جيل راشد يسهر على تربية وتثقيف جيل آخر في طور النمو يحتاج من الخبرات ما يهيئه لبناء مستقبله وتطوير أمته، وإن تبادل المعارف بين جيلين يكون خاضعا لضوابط اجتماعية وأخلاقية يوفرها الجو المدرسي.

المدرسة هي المؤسسة الاجتماعية التي أوجدها المجتمع لترقية الأبناء وتعليمهم ونقل التراث الثقافي إليهم، وتعد المدرسة من أهم المؤسسات المسئولة على تعليم القيم ونشرها بعد الأسرة، فالمدرسة تقوم بمشاركة الأسرة في تكوين القيم التربوية لدى الأفراد وذلك لكون المدرسة مصدرا للعلوم والاتجاهات والمهارات التي تعد بدورها منطلقات أساسية لتعليم القيم. ويرى أحمد علي كنعان: " أن المدرسة بنية نقية أو جدها المجتمع بهدف التربية، إذ تحاول أن تكسب أفرادها القيم الإيجابية من خلال المناهج ومن تفاعل المتعلمين مع المعلمين تتخطى الاختلافات الطبقية وتساعد في تنقية القيم مما يشوبها، وغرس قيم جديدة وتبني نسق قيمي مرغوب لدى المعلمين.([3])

---

(1) - Ibid, P. 42.

[2]- المركز الوطني للوثائق التربوية(٢٠٠١): **الطفل بين الأسرة والمدرسة**، الملف ٢٦، وزارة التربية الوطنية، الجزائر، ص: ٣٣

[3]- أحمد علي كنعان (١٩٩٠): **أدب الأطفال والقيم التربوية**، دار الفكر، دمشق، ط١، ص: ٢٠٤.

تأخذ المدرسة على عاتقها مسئولية تنسيق الجهود المبذولة من طرف المؤسسات ذات العلاقة بتربية الأطفال وتسخيرها لفائدة الطفل فتظل في اتصال دائم بها لتوجيهها وتزويدها بأفضل الطرق والمناهج التربوية.

تُعد المدرسة من أهم المؤسسات الاجتماعية التي تمارس تأثيرا أكبر من تكوين شخصية أفراده بما يحقق النمو السليم للفرد، ولما يحفظ للمجتمع وحدته وتجانسه وتماسكه لأن التربية ليست وظيفتها نقل التراث فقط وإنما لها دور آخر مهم باعتبارها:

- وظيفة اجتماعية بالتغير الاجتماعي بمفهومه الواسع.
- عملية استثمارية تعني بإعداد الطاقات البشرية لتكون عاملا فعالا في استثمار الموارد والإمكانيات الطبيعية والبشرية المتوفرة في المجتمع.

ومن هنا كانت التربية ولا تزال في خدمة المجتمع وبذلك تصبح ذات وظيفة واضحة المعالم ولا تسبح في فراغ، فالجيل الصاعد يحتاج إلى قيم واتجاهات وبناء جسمي سليم.([1]) وهذا يمثل أهم الأهداف المباشرة للتربية التي تعمل على تغيير وتعديل الأفراد باكتسابهم قيما تتماشى والتغيرات التي يعيشها المجتمع، فالمدرسة هي التي تقوم بتنقية المعرفة المتراكمة من الشوائب المتراكمة التي لحقت بها وتبسيطها ونقلها للأجيال الصاعدة، وهذه المعرفة تتضمن القيم والاتجاهات والمعتقدات والمعايير المتوارثة جيلا بعد جيل، كما أن من وظائفها تبني التغيرات والتجديدات التي تطرأ على المجتمع ولا تقتصر مسئولية المدرسة على إعداد الفرد للتعامل مع المجتمع يكون التغير فيه سريعا، بل يجب أن يستمر النظام التعليمي في إمداده بأشخاص يقومون بواجب تطوير المعارف والأساليب الجديدة ومن ثم فهي أداة للتجديد والتغيير وتنمية القوى البشرية ووسيلة للحراك الاجتماعي وللتطبيع والتهيئة الاجتماعية، وأوضحت بعض الدراسات الدور الذي تؤديه القيم في تحديد شكل العلاقات بين المعلم والتلميذ فتزايد التقبل من جانب التلاميذ يترتب عنه زيادة اهتمام التلاميذ بالعمل المدرسي والتربوي، وزيادة ابتكارهم وكفاءتهم في التحصيل المدرسي.([2])

---

[1]- نفس المرجع ، ص: ٢٠٤

[2]- عبد اللطيف محمد خليفة (١٩٩١)، مرجع سابق، ص: ٢٠٠

وتظهر أهمية المنهاج والكتاب المدرسي الذي يتبوأ مكانة مرموقة في نظامنا التعليمي حيث يقوم بالدور الرئيسي في عمليتي التعليم والتعلم، وكذلك يساهم في غرس القيم التربوية في عقول التلاميذ، ولكي يتم تحقيق هدف التربية التي تتطلع إلى تكوين الإنسان المؤمن بالقيم والاتجاهات السليمة كان لابد للمربين أن يقوموا بتوفير متطلبات تلك التربية وتوفير المناخ الملائم، وهكذا يتأكد لنا أن الاهتمام بدراسة القيم والاتجاهات والمعتقدات أمر بالغ الأهمية في وضع طرب المناهج الدراسية في جميع مراحل التعليم حيث يتحقق خلال هذه المناهج التوازن الذي يستهدفه المجتمع في تكوين شبابه من النواحي القيمية والوجدانية والثقافية، ويؤدي فقدان التوازن بين هذه القيم والتحصيل الدراسي إلى جيل مضطرب نتيجة فقدان التوازن بين ما يحصله من علوم وبين علوم وبين حقيقة القيم والاتجاهات التي يثبت العلم التجريبي أنها موجودة بالفعل.

ومما سبق يتبن لنا التأثير الكبير للمدرسة على الفكر القيمي للتلاميذ وتوجيه سلوكهم وتعديل نوازعهم واتجاهاتهم لذلك يجب أن تراعي المناهج التعليمية خاصة نظم وبرامج المدرسة عامة وربط الأهداف التعليمية بالأهداف الخلقية، وبحيث يكون التعليم وسيلة للتربية الخلقية وتزكية السلوك وغرس الآداب والقيم الدينية والمثل العليا، والفضائل في النفس وتنمية القدرة على التمييز بين الهدى والضلال والخير والشر، الحق والباطل، الصواب والخطأ، فهو الدور الخلقي والاجتماعي الإيجابي الذي يمكن أن يساهم به الفرد في الحفاظ على كيان المجتمع من الانحلال والتفكك. تعمل المدرسة على الاهتمام بالأنشطة التعليمية، ومن أهم تلك الأنشطة التي تعمل على تنمية الاتجاه الديني لدى الطفل مثل:([1])

- الإطلاع على مخلوقات الله التي تدل على قدرته وعظمته عز وجل.
- تنمية المهارات الاجتماعية المنبثقة من الدين كاللعب الذي ينمي روح الجماعة، ورد الأمانات إلى أصحابها واحترام الكبار.
- تدريب الطفل على التعامل مع الآخرين بالرفق واللين والرحمة.
- تنمية مهارات الطفل في الاستماع للحوار مع الكبار لكي يستوضح بعض الأمور والقضايا الغامضة عليه في العقائد والعبادات.

---

[1]- فهيم مصطفى (٢٠٠٨): **الطفل والخدمات الثقافية**، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ص: ٣٣

- العمل على اكتساب الطفل الاتجاهات الصحيحة من واقع البيئة والحياة.

ويفترض أن تكون المؤسسات التعليمية والتربوية نقية طاهرة تدعم القيم والأخلاق الحميدة وتُقَوِّم الاتجاهات والميول الخاطئة، فالمدرسة بها أهمية كبرى في اكتساب القيم لكونها تستقبل الأطفال في سن التشكيل والتطبيع، فتعمل من خلال هيئات التدريس على تقديم قدوة أخرى ونموذج قيمي بديل عن الوالدين يتمثل في المعلم وكذلك تقديم قدوة مناهج تحتوي على ثقافة وقيم المجتمع الذي ينشد غرسها في أفراده، وفي نفس الوقت تمدهم بكل ما هو جديد ومفيد وتسعى لتوسيع آفاقهم وانفتاحهم على قيم وثقافات أخرى وافدة، بعد مواءمتها لتتفق وما يرغبه المجتمع في أبنائه، وباكتساب الطفل لهذه القيم تتحدد مكانته بين أفراده داخل المدرسة ويتم القبول به كفرد من خلال ما يظهر في سلوكه من قيم يرتضيها المجتمع خلال تعاملاته مع من يحيطون به.

٤-٣ دور العبادة :

من المؤسسات المهمة والمساهمة في نقل القيم للأفراد فالمساجد والكنائس لم يقتصر وجودها على الجانب الديني وحده وإنما امتدت لتشمل مهمة التربية والتعليم بالمعنى الشامل. فالمسجد والمدارس القرآنية تعمل على نقل القيم وتربية الناس على الفضيلة وحب العلم وعلى الوعي الاجتماعي ومعرفة حقوقهم وواجباتهم في الدولة.([1])

وقد تخرج من المساجد الفقهاء والعلماء والصالحون في شتى المجالات ولا تعترف المساجد بما يوجد بين الناس من فوارق اجتماعية، واقتصادية وجنسية أو عمرية، ومن ثم يشمل قطاعات كبيرة من الناس فيقوم بتوجيههم وتعليمهم ودفعهم إلى الالتزام بالمبادئ والقيم الخلقية في علاقاتهم وحياتهم العامة

لقد اشتهرت في تاريخ ثقافتنا الإسلامية مساجد مهمة كانت منارات حضارية أثرت في الثقافات العلمية من المسجد الأموي بدمشق، والأزهر بالقاهرة والزيتونة بتونس، والقرويين بالمغرب، وكذا المساجد التي أسست في الأندلس قامت بدور فعال في نقل الحضارة الإسلامية إلى أوروبا.

---

[1]- خزر عبد الحميد (٢٠٠٦): مرجع سابق، ص: ٤٧

ولا تزال المساجد وكل دور العبادة تقوم بهذه الوضعية التربوية وتحاول أن تؤدي دورها الثقافي الاجتماعي في محاولة لمحاربة الانحرافات والفساد الذي يسود المجتمع ودعمه للقيم الخلقية وتنميتها ودفع الأفراد إلى الالتزام بها في حياتهم العامة والخاصة.([1])

٤-٤ جماعة الرفاق:

تؤدي جماعة الرفاق دورا هاما في نمو شخصية الطفل وتربيته إذ توفر المجال الاجتماعي الذي يتعلم فيه الأنماط السلوكية للجماعة وتزداد أهمية جماعة الأصدقاء في الوقت الذي انصرفت فيه الأسرة عن كثير من وظائفها الأولى بالنسبة للأطفال في طفولتهم الأولى.

جماعة الرفاق تدرب الطفل وفق مطالب زملائه وتنمي عنده ضميرا اجتماعيا وتوفر له مجموعة من القيم والاتجاهات الخاصة ببيئته وجنسه وكثيرا من الأطفال والمراهقين يتعلمون أشياء كثيرة من معنى الصداقة والجنس والدين من هذه الجماعات التي ينتمون إليها في هذه السن.

وتظم جماعة الرفاق الأصدقاء والأفراد المتقاربين في السن والجنس أو المستوى الاقتصادي وتبدأ منذ الطفولة وتتكون من زملاء الدراسة أو الحي أو العمل واهم ما يميز الفرد بنظرائه: التكافؤ والشعور بالندية، لهذا تتزايد درجة الترابط بينهم.

إن جماعة الرفاق وظيفتهم التربوية تناصر وتؤيد اتجاهات الأسرة وقيمها أكثر مما تخالفها كما تؤدي دورا تربويا في تدعيم القيم التي يسعى إليها المجتمع إذ أن تكوينها يسمح بإمكانية الحوار دون خوف أو خشية سلطة ومن وظائف تلك الجماعة أنها تساعد الفرد على الوصول إلى مستوى الاستقلال الشخصي عن الوالدين وسائر ممثلي السلطة، وعلى تكوين معايير للحكم على الأشياء والسلوك وتكسب أفرادها الاتجاهات والأدوار الاجتماعية المناسبة.([2])

إن لجماعة الرفاق مهمة ووظائف نفسية واجتماعية تساعد على حفظ مشاعر الوحدة ودعم المشاعر الإيجابية السارة والإسهام في عمليات التنشئة الاجتماعية إذ تسير الصداقة اكتساب عدد من المهارات والقيم والسمات الشخصية المرغوب فيها اجتماعيا، ومما لا شك فيه أن

---

[1]- نفس المرجع السابق، ص: ٤٨

[2]- ضياء زاهر (١٩٨٦): **القيم في العملية التربوية**، دار النهضة ، القاهرة، ص: ٦٩

الشخص يحتاج إلى حد أدنى من التفاعل الاجتماعي، إلا أنه وبغض النظر عن أية مساعدات أو جهود إيجابية يتلقاها الشخص من الآخرين، فإن مجرد اجتماعه بهم يحقق عددا وافرا من الارتياح الوجداني في ظروف الحياة العادية، وتزيد الحاجة إلى الارتباط بالآخرين عند التعرض لمشقة أو الشعور بالقلق والخوف.

إن جماعة الرفاق تُعد أهم وسائط نقل القيم وتدعيمها،([1]) إذ توفر المجال الاجتماعي الذي يتم من خلاله تعلم الأنماط السلوكية للجماعة وتكوين معايير الحكم على الأشياء وتنمو الشخصية من خلاله حيث تشعر بالمساواة والاستقلال.

٤-٥ وسائل الإعلام:

تقوم وسائل الإعلام بدور بالغ الأهمية في نقل وتثبيت أو تغيير القيم حيث يبدأ الفرد الاتصال بوسائل الإعلام منذ طفولته المبكرة، وتمتد إلى شيخوخته فهو بذلك يعبر أصدق تعبير عن مفهوم التربية المستمرة مدى الحياة وطرق تحصيل المعرفة ثلاثة : المشاهدة، المخالطة، والقراءة.

وقد أصبح دور وسائل الإعلام رئيسيا وضروريا بعد أن دخلت كل بيت ممثلة في التلفزيون والإذاعة وكل الوسائط الإلكترونية التي خاطبت جميع أفراده وتحولت من الترفيه والتسلية إلى مصدر للمعلومات والتربية.

ووصل العالم اليوم لعصر السماوات المفتوحة وأصبح العالم قرية صغيرة تتناقل أخبارها قنوات مختلفة وتبثها لكل بني البشر دون تمييز بحيث يمكن لأي إنسان أن يعيش الحدث ساعة وقوعه في أي منطقة من الكرة الأرضية، حيث اختصرت المسافات واختصر الزمن، وبذلك أصبح الفرد عرضة لغزو إعلامي غريب على عاداته وقيمه قد يتفق أو يختلف مع ما يرغبه المجتمع في أفراده وأكثر أفراد المجتمع تأثرا بوسائل الإعلام هم الأطفال بحكم تكوينهم النفسي أو العقلي، حيث أن تفكيرهم النقدي محدود في هذه المرحلة، لذلك فهم على استعداد لتقبل كل ما يأتيهم من خلال وسائل الإعلام.

فالقيم التي تحملها الرسالة تستعمل لا إراديا لوجدان الطفل، ليظهر بعد ذلك سلوكا وتصرفا عنده قد لا يرضي عند المجتمع، لتضاد ما يتلقاه الطفل في الأسرة والمدرسة عن وسائل

---

[1]- عبد الحميد خزر (٢٠٠٦)، مرجع سابق، ص: ٥٠

الإعلام، فيحدث للطفل انفصال اجتماعي عن النسق القيمي للمجتمع مما يهدد بانهيار القيم لدى الأطفال.

ولقد أكدت الكثير من الأبحاث الدور الحيوي الذي تلعبه وسائل الإعلام في بناء الشخصية ولذلك يجب أن تستثمر جيدا بطريقة صحيحة حتى تؤتي ثمارها المرجوة في مجال التربية، وبناءا على ما ثبت من علاقة بين التربية ووسائل الإعلام، وحيث أن هذه التربية هي غرس للقيم لدى الطفل لتظهر بعد ذلك سلوكا وأفعالا، وبذلك فإن وسائل الإعلام بما تتسم به من دور إعلامي وتثقيفي وترفيهي تلعب دورا كبيرا في بث القيم في نفوس الأفراد.

إن وسائل الإعلام تمثل قوة حضارية تعمل على رفع مستوى المجتمع ثقافيا واجتماعيا وتربويا، فهي تعمل على تغيير الاتجاهات وتحريك الجماعات لتحقيق أهداف مسطرة وتحقيق التنمية ونشر الأفكار وتكوين الشخصية.

وتلعب وسائل الإعلام دورا هاما في تعميق المفاهيم الشائعة في المجتمع وترسيخ القيم السائدة فيه، وتثبيت العلاقات القائمة بين المؤسسات والجماهير وتقوم وسائل الإعلام بتقديم مواقف درامية تعكس من خلال اتجاهات نحو الحياة فهي تقدم للجماهير فلسفة حياة زاخرة بالقيم والمعايير ([1]) عن طريق الرسائل الإعلامية التي تبثها.

فتلك الوسائل تقوم بدور هام وخطير يكاد لا يوازيه أي دور لأي مؤسسة تربوية أخرى في مجتمعنا الحديث، فوسائل الإعلام على مستوياتها المختلفة المسموعة والمرئية، بما تملك من مقومات وقدرات وإمكانات درامية فعالة قادرة على شد انتباه المستمع والمشاهد والقارئ، بطريقة قد تصل لسلب إرادة الفرد، وعلى الرغم من أن التقسيم الكلاسيكي للتربية كان يعتبر تلك الوسائل نوع من أنواع التربية اللامدرسية غير المقصودة، إلا أنها في عصرنا الحديث صارت وسائل الإعلام تتساوى مع الأجهزة الرسمية النظامية، بحكم هيمنة وسيطرة الدولة عليها، بل أصبحت أجهزة إيديولوجية تملكها الدولة ونظامها السياسي. فعلاقة الطفل بتلك الوسائل تعبر بدون أدنى شك عن ماذا يتعلم الطفل؟ وكيف يتعلم أنماط السلوك

---

[1] – إبراهيم إمام (١٩٧٥): **الاتصال الجماهيري**، الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١، ص: ٩٩

والاتجاهات والقيم؟ لأن الأطفال حينما يتعلمون فإنه يكون بإمكانهم تقليد السلوكات المتضمنة في تلك القيم والسلوكات داخل نسق القيم الخاص بهم.([1])

يمكن أن نصل في الأخير بعد استعراض أهم الوسائط التي تتم من خلالها نقل القيم إلى التأكيد على أن اكتساب القيم النفسية والخلقية مسئولية مشتركة بين البيت والمدرسة والمجتمع وأجهزة الإعلام والثقافة. وهنا يأتي دور القائمين على تنشئة الطفل في تحديد الإطار القيمي المرغوب في الخطاب الثقافي والتربوي والتعليمي، حتى ينمو ويرتقي الطفل وفق أهداف متراصة وقيم متناسقة لا متناقضة بين مؤسسات التنشئة الاجتماعية.

وتعتبر المنظومة الاجتماعية التربوية أحد أهم القنوات لإيصال القيم التي يجب أن تشيع في مجتمع بعينة وتغرس ويكرس تداولها اجتماعيا بين أفراد المجتمع الواحد، لذا يجب أن تعمل كل الهيئات والمنظمات والمؤسسات القائمة على التربية والتعليم على تبني الأهداف التربوية من خلال غرس القيم في منظومتنا الاجتماعية من خلال تضمين المناهج والمقررات هذه القيم، ويجب أن تتبنى هذه الأخيرة نموذجا موحدا ويهدف إلى تحقيق غايات واحدة وليست مختلفة.

٥- تكون القيم والأخلاق عند الأطفال

سنحاول عبر هذا العنصر أن نبين الكيفية التي من خلالها يتم تكوين القيم والأخلاق، ثم نعرج بعدها للحديث عن محددات اكتساب هذه القيم، ومن ثم تحديد العوامل المؤثرة في اكتساب القيم، وأخيرا نحدد مراحل اكتساب القيم:

٥-١ اكتساب القيم وتكون الأخلاق عند الطفل:

تعد عملية اكتساب القيم بمثابة عملية تعلم تتم تدريجيا خلال عملية التنشئة الاجتماعية، فالطفل في بداية حياته لا يكون لديه أي قيم إلا أنه يلقن إياها ويتوحد معها من خلال تفاعله مع المحيطين به في بيئته، ويُقصد بعملية اكتساب القيم:" العملية التي يتبنى الفرد من خلالها مجموعة من القيم لم يكن يتبناها من قبل" ([2])

---

[1]- شبل بدران (٢٠٠٢)، مرجع سابق، ص: ٦٦

[2]- شبل بدران(٢٠٠٢)، مرجع سابق، ص: ٤٦

وهناك مقدمات لاكتساب الطفل للقيم يمكن اعتبارها بالنسبة للطفل الجذور للنبات حيث هي أهم أجزائه، وإن كانت غير ظاهرة، وهذه المقدمات يتم غرسها في مراحل العمر الأولى، فالطفل في طفولته المبكرة–خاصة بعد السن الرابعة– يصبح قادرا على التمييز بين ما هو صواب وما هو خطأ، كما يكون بإمكانه الحكم على ماهية السلوك كونه مرغوبا فيه أو مرغوبا عنه.([1])

يشير تالكوت بارسونز T. Parsons إلى أن نجاح عملية اكتساب الطفل للقيم يكون رهنا بمرونة الطفل وتعني قدرته على تعلم أنماط السلوك المتقابلة، حساسية الطفل، وتشير إلى قدرته على الربط بين تلك السلوكات المتقابلة، واعتماد الطفل على الآخرين، وتلك هي الركيزة في عملية غرس واكتساب قيم ومعايير المجتمع.

واستنادا إلى أن اكتساب القيم يعتمد اعتمادا كبيرا على السياق الثقافي والفترة التاريخية التي يعيش فيها الفرد، ولأن الأطفال في كافة الثقافات ينمون في إطار سياق اجتماعي يضم الأكبر سنا ممن يحملون ميراث المجتمع الثقافي فإن هؤلاء الكبار يحاولون من خلال عملية التنشئة الاجتماعية استدماج هذا الميراث في نفوس الأطفال.([2])

بما أن الطفل وخاصة في المراحل العمرية الأولى يكون شغوفا ومهتما بما يقول له الكبار والمحيطون به في بيئته، لذا نجد أن جهاز القيم لديه يكون في البداية مكتسبا يكسبه الكبار ثم لا يلبث حين يصل الطفل لنهاية مرحلة ما قبل المدرسة تدريجيا في اكتساب القيم والقواعد بصورة ذاتية حتى تصير بشكل شخصي ومن تلقاء نفسه.([3])

فالطفل يتأثر بما أطلق عليه برنر Berner النظام البيئي حيث تعني البيئة في إطار نظريته التي يطلق عليها نظرية"النظام البيئي– نموذج لنمو الطفل" Système écologique-model de développement de l'enfant

---

[1]– بيوتشنكويتي(١٩٩٢): **التربية الأخلاقية في رياض الأطفال**، ترجمة فوزي عيسى، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ص: ٦٥، ٦٦

[2]– شبل بدران (٢٠٠٢)، مرجع سابق، ص: ٤٦

[3]– بيوتشنكويتي(١٩٩٢) مرجع سابق، ص: ١٦

ذلك السياق الاجتماعي أو الثقافي يخبره الطفل ويؤثر عليه بصورة مباشرة أو غير مباشرة، والطفل في هذا الإطار يتأثر بعدد من المستويات([1])

أ- المستوى الأول: يتضمن هذا المستوى ما يخبره الطفل عن ذاته في إطار سياق معطى مثل: الأسرة، المدرسة، جماعة الرفاق...الخ

ب- المستوى الثاني: يتضمن العلاقة بين مختلف السياقات الاجتماعية التي يتعامل معها الطفل وتؤثر فيه بطريقة مباشرة، مثل:الأسرة المدرسة، المجتمع وتمثل وسائط تربوية متخصصة.

ت- المستوى الثالث: يتضمن العلاقة بين مختلف السياقات الاجتماعية التي يتعامل معها الطفل وتؤثر فيه بطريقة غير مباشرة، لكنها تؤثر وتمثل وسائط تربوية غير متخصصة.

ث- المستوى الرابع: يُشار لهذا المستوى بالنمط العام للإديولوجيا والفكر السائد داخل المجتمع، وكذلك الثقافة الخاصة التي يعيش فيها الفرد، في هذا المستوى يتأثر الطفل بنظام القيم، الأعراف والتقاليد والقوانين داخل المجتمع.

هذا وتعتبر عملية تكوين القيم عملية شخصية تستمر مدى الحياة، إذ يتعين على الأفراد جميعا داخل المجتمع –كبارا كانوا أم صغارا– تلمس ما هو هام وذو مغزى شخصي بالنسبة لهم، وباعتباره قيمة ومن ثم فإن تكوين القيم لا يتم قسرا، إذ تتكون تلك القيم على مدى فترة طويلة، كما أن هناك قيما معينة قد لا يكتسبها الطفل بشكل كامل قبل أن يصل لقدر معين من النضج يسمح له بالتفكير فيها.

من أهم المبادئ الأخلاقية التي يجب تعليمها الطفل في سن مبكرة ما يلي:

- يحترم من يكبره سنا ويتعلم الطاعة بإطاعته الأوامر.
- يطبع على الصدق في أقواله وأفعاله.
- يتعلم العدل ولا يحقد على الآخرين.
- يبتعد عن الكسل ويشغل فراغه بالعمل واللعب.
- يتعلم النظام في المأكل والملبس.

---

[1]– شبل بدران (٢٠٠٢) مرجع سابق، ص: ٤٧

- يتعلم ضبط النفس وآداب السلوك.
- يتعود على العطاء ومساعدة الآخرين.

وقد أكد جون ديوي أن التربية السليمة عملية تعد الطفل للاندماج في الحياة، ومعنى إعداد الطفل لحياة مقبلة أن نترك له قيادة نفسه، كما يعني كذلك أن ندربه على استخدام جميع قواه استخداما كاملا.([1])

كما يرى أن التربية تتم عن طريق مشاركة الفرد في الوعي الاجتماعي مشاركة تتم بشكل شعوري أحيانا وبشكل لا شعوري أحيانا أخرى، وأن العلم بالنواحي الاجتماعية ضرورة لتفسير قوى الطفل تفسيرا مباشرا فالطفل الذي نريد تربيته هو فرد اجتماعي، وحيث أن المجتمع وحده مؤلفة من مجموعة أفراد، يؤكد جون ديوي على أن تعليم الأطفال الأخلاق وإكسابهم القيم لا يتم إلا بالممارسة، فالقيم تصبح جزءا من شخصية الطفل حينما يمارسها في حياته الطبيعية، ومما لا شك فيه أن هناك العديد من النتائج تترتب على اكتساب الطفل القيم وتتمثل فيما يلي:

- تساعد القيم الطفل على فهم الأدوار الاجتماعية ومن ثم أدائها أداء ناجحا
- تساعد الطفل على الارتباط بمجتمعه فيكون لديه الشعور بالتماسك الاجتماعي والانتماء للجماعة.
- تساعد على استقرار نسق السلوك لدى الطفل وتكامل أهداف شخصيته مع أهداف المجتمع، فعلى الرغم من أن عملية اكتساب القيم لا تقتصر على مرحلة الطفولة إلا أن تلك القيم التي يكتسبها الفرد في طفولته تعد بمثابة الأساس الذي يبنى عليه نسق القيم لدى الفرد فيما بعد.

وهناك العديد من الطرق التي يمكن من خلالها أن يكتسب الطفل القيم منها:

أ- **التقليد:**

يعرف التقليد على أنه تلك المحاولة الشعورية أو اللاشعورية التي تتم من قبل الفرد لإعادة أو تكرار أفكار وأنماط سلوكية أدركها الفرد خلال ملاحظته للآخرين.

---

[1]- شبل بدران (٢٠٠٢)، مرجع سابق، ص: ٤٤

وميل الطفل للتقليد هي ظاهرة طبيعية وصحية في آن واحد، حيث يعتبر تكرار السلوك عن طريق التقليد من قبل الطفل مؤشرا على حدوث عملية التعلم والتي تعد شكلا من أشكال التعلم الاجتماعي، ويشير بياجيه إلى أنه عن طريق تقليد الطفل المستمر للآخرين وتتبع النماذج الخاصة بالوالدين خاصة في السنوات الأربعة الأولى من حياة الطفل يعد الأساس الأول لتكوين القيم، فالطفل في هذه المرحلة يكون في حاجة إلى نماذج في محيطه يحقق ذاته من خلالها ويكتسب منها قوة ذاتية في سلوكه، ففي هذه المرحلة يعيش الطفل حالة من عدم الاستقلالية فقواعد السلوك لديه مكتسبة وليست ذاتية لذلك فهو يلجأ للتقليد كمصدر للنمو.([1])

ويعتبر التوحد أو التقمص من أعلى مستويات التقليد، إذ يتضمن التوحد أكثر من مجرد تعلم عن طريق التقليد، فحدوث عملية التوحد أو التقمص تعني أن الطفل أصبح قادرا على تبني أنماط كلية للمعتقدات والاتجاهات والقيم الخاصة بالنموذج الذي يتوحد معه، ومن ثم يكون السلوك المتعلم أكثر ثباتا وأقل قابلية للتعبير.([2])

إن الأطفال يكونون أكثر تأثرا بالنماذج السلوكية، إذ أنهم يتعلمون ممن هم أكبر سنا، وخاصة النماذج التي يكون بينهم وبينها علاقة ملؤها الألفة والمودة والإعجاب من قبل الطفل إضافة إلى قرب النموذج من قلب الطفل وشدة جاذبيته له.

هكذا ولكي يستطيع الطفل أداء سلوك معين يقوم به النموذج؛ فإنه يجب أن يلاحظ أداء هذا السلوك أمامه سواء في مواقف فعلية أو من خلال عروض تعبر عن مواقف رمزية.

ب- **النمذجة :**

تعد النمذجة أحد أهم وأنجع الوسائل التربوية الفعالة والمؤثرة في اكتساب الطفل لمختلف المعايير والقيم والاتجاهات، فالنمذجة حينما تأتي من نماذج محببة لنفس الطفل يكون لها أكبر الأثر في سلوك الطفل، حيث أنها تمثل أحد أبرز جوانب السلوك الواقعي والذي يقوم الطفل بملاحظته محاولا إتيانه خاصة إذا صحبه أو عقبه ما يستثير الرضا والاستحسان.

---

[1]- بيوتشنكويتي (١٩٩٢)، مرجع سابق، ص: ١٥

[2]- شبل بدران (٢٠٠٢) مرجع سابق، ص: ٥٢

وتؤثر النمذجة تأثيرا بالغا في تربية الطفل وفي تكوين قيمه ومفهومه عن ذاته والذي يتكون أساسا نتيجة لاستجابة الطفل لتوقعات من حوله وتصرفهم حيال سلوكه في المواقف الاجتماعية، حيث أن الطفل لا يمكنه التصرف بشكل يتوافق مع اتجاهات وقيم الآخرين، إلا إذا تبنى تلك الاتجاهات والقيم كخطوة أولى في تكوين الذات لديه.

وتعني النمذجة "القدوة ": وجود نموذج سلوكي يقوم الطفل بتقليده أو محاكاته، وهكذا فالنمذجة تمثل أحد أنواع التعلم بالملاحظة، بالرغم من أن القدوة تتضمن أفعالا متعددة منها: التقليد، المحاكاة، إلا أنها ليست أيا من هذه الأفعال، فالتقليد والمحاكاة أقل من الإقتداء، فبينما يقتدي الطفل بغيره عن وعي إعجابا به وحبا فيه، فإنه يقلده شعوريا أو لا شعوريا بدافع التعلم أو بمجرد المحاكاة.([1])

ويتعرض الطفل في هذا العصر لسيل جارف من القدوات والمثل العليا المتنوعة سواء الحية أو الرمزية من قبل ما يقدمه المنزل والمؤسسات التعليمية وما يشاهده أو يسمعه في وسائل الإعلام، ولهذا نجد أن الطفل في مختلف السنوات العمرية يتعلم العديد من النماذج فيعكس ما تعلمه عن طريق القدوة، على سلوكه وقيمه واتجاهاته، ومن ثم يجب الاهتمام بتقديم نماذج القدوة الجيدة في مختلف الوسائط التربوية.

ت- الثواب والعقاب :

يعد الثواب والعقاب من أبرز الأساليب في مجال غرس وتنمية القيم خاصة في السنوات الأولى من عمر الطفل، فالثواب والعقاب يلعبان دورا هاما باعتبارهما أحد مفاتيح التعلم.

ويعرف الثواب على أنه:" ذلك الأثر الطيب الذي يتبع مجموعة الاستجابات المرغوب فيها والتي يؤديها الطفل ويشعر إزاءها بارتياح والرضا". ويعرف العقاب على أنه ذلك الأثر السيئ الذي يتبع مجموعة الاستجابات غير المرغوب فيها، حيث يشعر الطفل إزاءها بالألم والضيق. ([2])

---

[1]- عبد الجواد سيد (١٩٨٣): **فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف**، دار الفكر ، القاهرة، ص: ٣١٩

[2]- شبل بدران (٢٠٠٢)، مرجع سابق، ص: ٥٦

هذا ويعتبر كل من الثواب والعقاب أحد أهم صور ما يطلق عليه التعزيز والتي تسهم في تشكيل السلوك، ومن ثم تدعيمه لدى الطفل، ويرى في هذا الصدد العالم الألماني ي.هيربرت أن الثواب والعقاب وسيلتا انضباط ([1])

وتشير العديد من الدراسات إلى أن استخدام الثواب يساهم في تدعيم وتعزيز السلوك المُثاب بينما يؤدي العقاب فقط لاختزال الميل في تكرار هذا السلوك، وهكذا فتعلم الطفل الاستجابات الاجتماعية المختلفة هو نتيجة مباشرة للتعزيز الذي تبرز فاعلية بصورة أكبر حينما تكون الاستجابة المتعلمة بسيطة ومحددة، وهناك نوعان من التعزيز : تعزيز مستمر وتعزيز متقطع.([2])

ث- العادة :

تلعب العادة دورا هاما في مجال التربية وغرس القيم لدى الطفل وتعرف العادة على أنها:"دافع ومهارة مكتسبان لأداء سلوك معين سواء كان حركيا أم ذهنيا بطريقة آلية مع السرعة والدقة والاقتصاد في المجهود ".([3])

وهناك مجموعة من المبادئ التي يستقر عليها تكوين العادات لدى الطفل:

- مبدأ المحاولة والخطأ.
- مبدأ المران والتكرار.
- مبدأ التأثير والارتياح.
- مبدأ البداية البسيطة.
- مبدأ الإيحاء.
- مبدأ التكيف السلبي.

هذا ويتضمن تعليم واكتساب القيم للطفل عن طريق العادة ثلاث جوانب رئيسية هي:

- الجانب الوقائي:أي وقاية الطفل من التأثر بالعادات الخاطئة وتشربها إليه.

---

[1]- ليف غورڤين (١٩٩٤):**الثواب والعقاب في تربية الأطفال**،ترجمة غسان نصر، دار معد، دمشق، سوريا، ص: ٢٥

[2]- شبل بدران (٢٠٠٢)، مرجع سابق، ص: ٥٦

[3]- فرج عبد القادر طه (١٩٩٤): **أصول علم النفس الحديث**، دار المعارف ، الإسكندرية، ط٢، ص: ١٤٦

- الجانب التعليمي: أي تعويد الطفل على تكرار وممارسة العادات الجيدة والسلوكات المرغوبة من قبل المجتمع، فتأصل لديه بطريقة يصبح قادرا معها على استدعاء تلك العادات بصورة آلية.
- الجانب العلاجي: يتضمن اقتلاع العادات الخاطئة التي ترسبت للطفل بطريقة أو بأخرى، ولأي سبب من الأسباب.

يمكن أن نصل في الأخير إلى اعتبار عملية اكتساب القيم تتم بطريقتين: نفسية واجتماعية.

فالطريقة النفسية تتمثل في التجارب السابقة للفرد وخاصة تجارب الطفولة التي يستمدها من الراشدين المحيطين به.

وأما الطريقة الاجتماعية فتتم عن طريق التفاعل مع الأفراد والجماعات، وتنشئة الفرد اجتماعيا من طرف الأسرة وباقي المؤسسات الاجتماعية الأخرى المسئولة أيضا عن التنشئة.[1]

٥-٢ محددات اكتساب القيم:

يذكر موريس (Morris, 1956) ثلاث محددات لاكتساب نسق القيم هي:

أ-المحددات البيئية والاجتماعية: تلعب المؤثرات البيئية والاجتماعية دور في اختلاف أو تشابه أنساق قيم الأفراد.

ب-المحددات النفسية: تتحدد التوجهات القيمية للأفراد حسب سمات شخصيتهم.

ج-المحددات البيولوجية: تتأثر أنساق القيم بمحددات بيولوجية مثل: "الطول" و"الوزن" و"الملامح".... الخ.[2]

٥-٣ العوامل المؤثرة في اكتساب القيم:

هناك ثلاثة أنواع من العوامل: الفردية، الأسرية والاجتماعية. وفيما يلي عرض وجيز لها:

٥-٣-١ العوامل الفردية:

- استعدادات الطفل ودافعيته للاكتساب.

---

[1] - جليل وديع(١٩٩٨):**أمراض المجتمع: الأسباب التفسير، الوقاية والعلاج**، الدار العربية للعلوم، بيروت، ص:٨٧.

[2] - عبد اللطيف محمد خليفة، مرجع سابق، ص ص. ٤٨، ٤٩.

- الخصائص الجسمية–الوراثية.
- اكتساب سوي لصورة الذات.
- الدور المتوقع في عملية التفاعل ومدى تأثر الفرد وتأثيره في الآخرين.
- الصحة النفسية والجسدية.

٥-٣-٢ العوامل الأسرية:

- الانفصال المبكر عن الأسرة (خاصة عن الأم).
- الأسرة المفككة.
- غياب النموذج والمثال الذي يتقمصه الطفل داخل الأسرة.
- افتقار الأسرة للقيم الاجتماعية المثلى (أسرة منحرفة).
- مستوى اقتصادي منخفض للوالدين.
- مستوى تعليمي وثقافي منخفض للوالدين.

٥-٣-٣ العوامل الاجتماعية:

- توفر المجتمع على أنساق قيم مقولة وتكون بمثابة نموذج ومثال للأفراد.
- وجود جو ملائم لتكوين القيم.
- وجود مثيرات مناسبة لتكوين القيم.[١]

٥-٤ مراحل اكتساب القيم:

رأى كراثـول (Krathwohl) أن اكتسـاب الإنسـان للقـيم يـتم عبـر ٥ مراحـل أو مستويات متسلسلة هرميا وهي كالتالي:

- **مستوى الاستقبال (Niveau de réception):** يبدي الفرد رغبة في استقبال مثيرات محيطه وتوجيه انتباهه نحو المثيرات المهمة.
- **مستوى الاستجابة (Niveau de réaction):** يندمج الفرد في الموضوع مع الارتياح له.
- **مستوى التقييم (Niveau d'évaluation):** يمنح الفرد قيمة أو تقدير للموضوع مع الارتياح لذلك.

---

[١] – جليل وديع، مرجع سابق، ص. ٨٨.

- **مستوى التنظيم (Niveau d'organisation):** يرتب الفرد مختلف القيم التي اكتسبها حتى يشكل "نسقا قيميا ".
- **مستوى التخصيص (Niveau de caractérisation):**

هنا يوسم الفرد بقيمة تدل على نمط سلوكه وحياته، كأن يوصف بالشجاعة أو القناعة أو الاندفاع.[1]

ومن جهته يرى "ريشر" أن اكتساب الفرد لقيمه يمر بعدة مراحل وهي:

- تبني قيمة معينة.
- إعادة توزيع هذه القيمة.
- إعطاء وزن معين لهذه القيمة.
- توسيع مجال عمل هذه القيمة داخل البناء العام للقيم.
- رفع معايير هذه القيمة في ظل وجود أهداف معينة وفائدة يحققها الفرد من تبنيه لها.

ويرى "روكتش" أن عدد القيم يزداد مع عمر الفرد، وبالتالي يتغير أنساق القيم لديه. إن انضمام قيمة جديدة إلى النسق يحدث نوع من إعادة الترتيب لهذه القيم حسب الأولوية أو الأهمية.

ويتحدد عدد قيم الفرد بعدة عوامل منها:

- البناء البيداغوجي.
- البناء الاجتماعي.
- الظروف الاجتماعية.
- الظروف الثقافية.
- التجارب الشخصية.

٦- النمو الخلقي وعلاقته بالنمو القيمي:

من المهم دراسة "النمو الخلقي" أي الكيفية التي يكتسب الأطفال والمراهقين، تدريجيا، القيم الظاهرة والمشجع عليها في محيطهم.

---

[1] - سميح أبو مغلي، ومن معه، مرجع سابق، ص. ٨٨. ١٧٢.

يتضمن النمو الخلقي مظهرين: مظهر "مفهومي" ويتمثل في الأحكام الخلقية والتصورات المعيارية، ومظهر "عملي" يتمثل في الأفعال والالتزامات الواقعية. ومن أشهر العلماء الذين اهتموا بمجال "النمو الخلقي" نجد جون بياجيه (Jean Piaget) وكوهلبرغ (Kohlberg) يتم النمو الخلقي عند الطفل على مستويات عديدة، وتتطور هذه المستويات مع العمر والنضج والكيفية التي يأخذها الطفل ضمن هذه المستويات.[١]

٦-١ الحكم الخلقي عند جون بياجيه:

لا يعرف الطفل شيئا عن الأخلاق والقيم والمعايير والضوابط الاجتماعية، وإنما يبدأ تعلمها لما يتدرج في النمو.ولقد رأى بياجيه أن هناك مرحلتين لاكتساب الحكم الخلقي عند الطفل هما:

٦-١-١ مرحلة "الخلقية التابعة": في هذه المرحلة يتقبل الطفل أوامر وقواعد الآخر دون مناقشتها أو معارضتها.

٦-١-٢ مرحلة "الخلقية المستقلة": هنا يبدأ الطفل مناقشة القواعد والأوامر التي تقدم له، وهذا يدل على نضج في أحكامه الخلقية. وتتميز هذه المرحلة بظهور مفهوم يسميه بياجيه "عدالة التوزيع" ومعناه "المعتقدات التي يحملها الفرد بخصوص توزيع العقوبات والمكافآت". ويشمل مفهوم "عدالة التوزيع" على ثلاث مستويات: العدل والتوجيه نحو المساواة وسيطرة العدالة.

ويقصد بمستوى "العدل" أن الطفل يعتقد أن العدالة تتحقق عندما تصدر الأوامر من الراشد، فالراشد هو مصدر تشريع وما يصدر عنه يعد عدلا. وأما مستوى "التوجيه نحو المساواة" فيعني أن الطفل يعتقد بوجود نظام يحقق العدالة. وأخيرا مستوى "سيطرة العدالة" ومعناه أن العدالة ينبغي لها أن تسيطر سيطرة تامة في الموقف الذي يمر به الفرد ويكون له ذلك لما يكون ضبطه الداخلي قويا.[٢]

---

(1) - Henri Lehalle, Daniel Mellier(2002): **psychologie du développement enfance et adolescence**, Dunod, Paris, P. 250.

(٢) – محمد شمال حسن(٢٠٠١): **سكولوجية الفن في المجتمع**، دار الآفاق العربية، القاهرة، ص. ١٩٢.

لقد اهتم جون بياجيه بدراسة "استدلال" الطفل عن المسائل الخلقية، وما هي السيرورة التي بواسطتها يتمكن الطفل من الفصل بين الحسن والسيئ، بين الخير والشر، في سلوكاته وسلوكات الآخرين.

٦-٢ الحكم الخلقي عند لورنس كولبرك: (L. Kohlberg)

يرى لورنس كولبرك صعوبة تحديد صدق أو عدم صدق الفرد في موقف معين، فقد يلتزم أو يخرق القواعد الخلقية، وإن الحكم الخلقي لا يرتبط بعمر محدد للفرد بل يرتبط بالخبرات الاجتماعية التي تكونت لديه وهي التي تحدد مستويات الحكم الخلقي.

توصل ل. كولبرك إلى تحديد ثلاث مستويات للحكم الخلقي وكل مستوى ينقسم إلى مرحلتين وهي كالتالي:

٦-٢-١ مستوى ما قبل الأخلاقي:

ويسمى أيضا مستوى "ما قبل العرف والقانون" يظهر عند الأطفال بين ٧-١٠ سنوات ويحتوي على مرحلتين هما:

- **مرحلة العقوبة والتوجيه نحو الطاعة:** يطيع الطفل القواعد خشية العقوبة وتجنبا للألم.
- **مرحلة التوجه نحو المتعة أو اللذة:** الطفل في هذه المرحلة هو"نفعي" فهو يميل على كل ما يجلب له اللذة والمتعة.

٦-٢-٢ مستوى العرف والقانون: وفيه يتم التأكيد على ضرورة الإخلاص للنظام الاجتماعي ومجاراة قوانينه وقيمه، وينقسم بدوره إلى مرحلتين هما:

- **مرحلة التوجه نحو الإنسان الصالح:** يسلك الفرد وفق المعايير الاجتماعية، ويتجنب التصرفات غير المقبولة ويسعى إلى فعل ما هو مقبول مثل مساعدة الغير.
- **مرحلة التوجه نحو القانون:** يحترم الفرد القواعد والقوانين ويحافظ عليها.

٦-٢-٣ مستوى ما بعد العرف والقانون:

ويسمى أيضا مستوى "المبدأ الخلقي"، وفي هذا المستوى تصبح الضوابط الخلقية لسلوك الفرد ضوابط داخلية وليس خارجية، وتمثل هذا الضابط الداخلي في الأنا الأعلى (الضمير)، واستدخال المعايير الاجتماعية والمشاركة الوجدانية. وينقسم إلى مرحلتين هما:

- **مرحلة الاتفاق الاجتماعي القانوني:** يغلب على تفكير الفرد في هذه المرحلة أن كل الأفراد متساوون في الحقوق والواجبات، ولا فرق بينهم أمام القانون.
- **مرحلة التوجه نحو المبادئ الخلقية العامة:** هي أسمى مراحل الحكم الخلقي ويصبح الصواب والخطأ عند الفرد يتحدد بمبادئه المكتسبة أكثر مما يتحدد بالقوانين والقواعد، أي يتحدد سلوك الفرد هنا وفقا للضوابط الداخلية أكثر مما يتحدد بالضوابط الخارجية.[١]

٦-٣ دور الأسرة في تكوين الحكم الخلقي:

بينت الدراسات أن الأطفال الذين اتبع معهم أساليب تنشئة ملئها العطف وجو المناقشة والحوار قد حصلوا على درجات عالية في الحكم الخلقي. بينما الأطفال الذي كانت أساليب تنشئتهم تتميز بالعقاب والصرامة والتشدد فتحصلوا على درجات منخفضة في الحكم الخلقي، وبهذا فأساليب التنشئة المتميزة بالدفء والحوار والتفهم هي أكثر أساليب التنشئة ارتقاء بالحكم الخلقي، ويتدنى الحكم الخلقي لم تكون هذه الأساليب صارمة ومتشددة.[٢]

٦-٤ النمو الخلقي والثقافة:

ينمو الأفراد خلقيا بحسب الثقافة السائدة في مجتمعهم، فالثقافة الإسلامية مثلا تربي على العدل والمساواة وكل مكارم الأخلاق، فقد جاء محمد –ص– برسالة هي كلها قيم حميدة وأخلاق عالية. وتقول سامية حسن الساعاتي: " إن كل ثقافة يسري فيها تيار أخلاقي خاص ينساق فيه الفرد متأثرا بالمعايير الأخلاقية السائدة من ناحية الخير والشر والصواب والخطأ وما يجوز وما لا يجوز والمعايير أمور نسبية تختلف في معناها وحدودها من مجتمع إلى آخر ".[٣]

٦-٥ الدين والقيم:

---

[١] – محمد شمال حسن، مرجع سابق، ص ص. ١٩٤-١٩٧.

[٢] – نفس المرجع، ص. ٢٠٧.

[٣] – سامية حسن الساعاتي(١٩٨٣): **الثقافة والشخصية، بحث في علم الاجتماع الثقافي**، دار النهضة العربية، بيروت، ط٢ ، ص. ٢١٧.

هناك علاقة وطيدة بين القيم والدين، الدين يؤثر على نسق القيمة لدرجة أن البعض يعتبره مصدرا لها، من خلال الدين يمكن ممارسة الضبط على السلوك. ورأى "شارلز كولي" (C.H. Cooley) أن الأديان الكبرى ما كانت لتمثل البناء الاجتماعي وتتكيف مع الوضع المتغير للمجتمع.

نجد في الدين الإسلامي علاقة وطيدة بين الدين والقيم، فالقيم الدينية الإسلامية تمارس تأثيرا كبيرا على أنساق القيم الأخرى[1]، فمن الناحية السياسية نلاحظ أن "الإسلام دين ودولة" وليس ما يعتقد البعض من أن "ما لله لله وما لقيصر لقيصر"، فالإسلام وقيمه من المفروض أن تتدخل في التشريع السياسي والقانوني للدول التي تتبنى الإسلام دينا للدولة. كما أن القيم الإسلامية تغطي على القيم الجمالية، والقيم الفنية والقيم التربوية والقيم الاقتصادية... إلخ.

٧- اضطرابات القيم:

تكون التنشئة القيم سوية لما تؤدي كل المؤسسات الاجتماعية المسئولة عنها وظيفتها على أحسن وجه، وإذا اختل توازن واحدة من هذه المؤسسات اعتلت تنشئة القيم وظهرت فيها أخطاء ومضاعفات على الأفراد، فيكبرون مضطربين نفسيا وسلوكيا وتكثر عندهم الإحباطات والتوترات، وسيود فيهم القلق والحصر.

القيم تعمل على توافق الفرد في المجتمع، والتربية عملية هدفها تعديل سلوك الإنسان، ولذلك كان من الضروري أن نهتم بالقيم حتى يمكننا السيطرة على سلوك الإنسان وتعديله بغرس قيم جديدة وتأكيد النسق القيمي الموجود عند المتعلم.([2])

ولا تتوقف أهمية القيم في دورها التربوي لتعديل السلوك، لكن ترجع أهميتها أنها تُعد مقياس الصواب والخطأ والجمال والقبح، الخير والشر، وقياس مدى تماسك المجتمعات يعود قبل كل

---

[1] – محمد أحمد بيومي، مرجع سابق، ص. ١٨٢.

[2] – صبري خالد عثمان(٢٠٠٨)، مرجع سابق، ص: ١٦٤

شيء إلى مجموعة القيم المتفق عليها في تلك المجتمعات، ومدى ما يعتقد في صحتها وأن تفكك المجتمعات يعود بالدرجة الأولى إلى تصارع القيم الموجودة في تلك المجتمعات.([1])

ويؤدي هذا التصارع إلى القلق وإصابة الإنسان بالأمراض، فالمجتمع توجد فيه قيم مشتركة، ولقيم الجماعة دورها إذ أنها تعمل على ربط أجزاء الثقافة ببعضها الآخر، وتزود أعضاء المجتمع بمعنى الحياة والهدف الذي يجمعهم من أجل البقاء، لذلك نجد أن أي اضطراب يصيب المجتمع من انهيار أو تفكك يرجع بالدرجة الأولى إلى انهيار النسق القيمي بين أفراد ذلك المجتمع.

إن أخطاء اكتساب القيم كثيرة وتحصرها حنان عبد الحميد العناني فيما يلي:

- الحرمان من العناية.
- إشعار الطفل بأنه غير مرغوب فيه.
- الإفراط في التسامح والتدليل.
- صرامة الأولياء وتسلطهم.
- انصراف الأولياء عن أبنائهم.
- ترك الطفل للخادمات يعنين به لوحدهن.
- تضارب اتجاهات الوالدين في تربية الأطفال.
- التفكك الأسري والخلافات الأسرية أمام الأولاد.

وجدير بالذكر أن انهيار القيم يظهر لما يفرط الفرد في القيم التي تربى عليها خاصة القيم الدينية والأخلاقية، مما يتولد عنده صراع نفسي ما يلبث أن ينتهي به إلى واحد من السلوكات التالية: ([2])

- الانسحاب والعزلة والانطواء أو الهجرة.
- الاستسلام إلى الملذات والماديات، تحت شعار (الغاية تبرر الوسيلة).

---

[1]- سعيد عبد الحميد السعدني(١٩٨٢): **القيم التربوية في القصص القرآني**، رسالة ماجستير، كلية البنات ، جامعة عين شمس، القاهرة، ص:٦٩

[2]- بوفولة بوخميس (٢٠١٠): **أنساق القيم وتصورات الأحداث المنحرفين لأساليب التربية الوالدية**، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم علم الاجتماع كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختارعنابة

- التمرد على الواقع: فتظهر الجريمة والانحراف والعدوانية والإيمان.
- تفكك الأسر وتحلل الروابط الأسرية ونقص التماسك والوئام والانسجام الأسري.[1]

يتدهور نسق القيم لما يحدث اختلال في التوازن بين مضمون القيم المثالية وبين ما هو موجود على أرض الواقع، حيث يعيش الأفراد أزمات وصراعات نفسية شديدة نتيجة التباين الشاسع بينما عرفوه وتعلموه عن القيم وبين ما وجدوه مجسدا أمامهم في الواقع من انعدام للقيم أو عدم امتثال الأفراد لها.

ومن المواقف التي تؤدي إلى تدهور أنساق القيم نجد الحروب والكوارث والتغير الاجتماعي الفجائي الذي يعرفه مجتمع أو جماعة اجتماعية معينة. وما تسهم به العولمة من تداخل وتلاشي الخصوصيات الثقافية.

٨- أدوات قياس القيم:

توجد العديد من المقاييس والسلالم التي اهتمت بدراسة القيم وأهمها:([2])

٨-١ مقياس ألبورت، فيدنون، لندزي للقيم:

(G. Allport, P. Vernon, G. Lidzy, 1960)

*** أساسه النظري:**

قام هذا المقياس على أساس نظري يعتبر القيم وظائف واسعة مشتركة لكل أنواع الشخصية، هذه الوظائف ليست ضيقة ولا واسعة يقيس المقياس الأهمية النسبية لستة أنواع من الاهتمامات أو القيم بالاعتماد على تصنيف سبرانجر (١٩٢٨) وهو كالتالي:

- الرجل النظري: ذو اهتمامات منطقية، يتبع الطريقة العلمية لتحقيق أهدافه، ومن الرجال المنتمين إلى هذه الفئة الفلاسفة والعلماء.
- الرجل الديني: يعتم بأصل ومصير الإنسان، والقضايا الميتافيزيقية ومن رجال هذه الفئة رجال الدين واللاهوت والفلاسفة الميتافيزيقيين.
- الرجل الاجتماعي: يهتم بالعلاقات والتفاعلات مع الآخرين، ويتميز خلقيا بخدمة الغير والعطف على الناس ومن رجال هذه الفئة العاملين في المؤسسة الخيرية غير المأجورة.

---

[1] - جليل وديع(١٩٨١)، مرجع سابق، ص. ٤١.

[2] - بوفولة بوخميس (٢٠٠٩)، مرجع سابق،

- الرجل الجمالي: يهتم بالفن والجمال والتناسق ويدخل ضمن هذه الفئة الرسامون والمصورون.
- الرجل السياسي: يهتم بأسباب القوة والزعامة والسلطة ومن رجال هذه الفئة العاملين في السياسية.

*** خصائصه الشكلية:**

يتكون هذا المقياس من ٤٥ بندا موزعة على جزأين: ٣٠ بندا في الجزء الأول وهي ذات الاختيار المتعدد، و١٥ بندا في الجزء الثاني وتطلب ترتيب ٤ اختيارات.

في الجزء الأول يوزع الفرد ثلاث نقاط على الاختيارات الموجودة في كل بند حسب تفضيله القوي أو الضعيف لهذه الاختيارات، وهكذا كل قيمة من القيم الستة لها ١٠ إجابات من ٦٠ إجابة محتملة.[١]

في الجزء الثاني يرتب الفرد ٤ عبارات من ١ إلى ٤ حيث يدل الرقم ٤ على التفضيل القوي وهكذا كل قيمة من القيم تمثل بـ ١٠ إجابات من ٦٠ إجابة محتملة، ونحصل على الدرجة النهائية بجمع الدرجات التي تحصل عليها الفرد.

*** خصائصه السيكومترية:**

استعملت طريقتان لحساب ثبات المقياس وهما: طريقة "التجزئة النصفية" وفيها تراوح معامل ارتباط سبيرمان–براون بين ٠،٨٤ و٠،٩٥. أما طريقة "الاختبار وإعادة الاختبار"، وكان مدة شهرين بين التطبيقين، فأعطت معامل ارتباط متراوح بين ٠،٨٤ و٠،٩٣.

وفيما يخص الصدق أجريت العديد من البحوث الميدانية وتأكدت من قدرة تمييز المقياس بين مجموعات الأفراد المختلفة دينيا، مهنيا، ودافعيا. كما ظهرت ارتباطات مرتفعة والاختبارات النفسية والمهنية.[٢]

٨–٢ قائمة القيم الفارقية لبرانس:

(The differential values inventory. R.Prince)

*** الخصائص الشكلية:**

---

[١] – عبد الحفيظ مقدم(١٩٩٣): **الإحصاء والقياس النفسي والتربوي**،د.م.ج، الجزائر، ص. ٢٥١.

[٢] – نفس المرجع، ص. ٢٥٣.

صممت هذه القائمة من طرف ر. برانس وتتكون من ٦٤ زوج من البنود وكل بند يقيس قيمة واحدة من القيمتين: قيمة تقليدية وقيمة عصرية. ويختار الفرد إحدى هاتين القيمتين.

تضم قائمة القيم التقليدية أربعة قوائم فرعية هي:

- أخلاق النجاح في العمل.
- الاهتمام بالمستقبل.
- استقلال الذات.
- التشدد في الخلق والدين.

وتضم قائمة القيم العصرية أيضا قوائم فرعية هي:

- الاستمتاع بالأصحاب والأصدقاء.
- الاستمتاع بالحاضر.
- مسايرة الآخرين.
- النسبية والتساهل.

*** الخصائص السيكومترية:**

قيس الثبات بطريقة "التطبيق وإعادة التطبيق"، وكانت المدة الفاصلة بينهما حولين، على عينة متكونة من ١٨ طالبة جامعية قسم اللغات في جامعة بغداد، وبلغ معامل الارتباط ٠،٧٨، وعلى عينة متكونة من ٣٤ طالب دراسات عليا بكلية التربية جامعة عين شمس، لكن بفاصل زمني ثلاثة أسابيع، فبلغ معامل الارتباط ٠،٨٩. وكان الصدق التكويني بالمقارنة بين طلاب جامعيين عرب وطلاب جامعيين أمريكيين، مدعما للفرضية القائلة أن الطلاب العرب أكثر تمسكا بالقيم الأصلية التقليدية من الأمريكيين. وكان الصدق التكويني أيضا بالمقارنة بين الآباء والأبناء مدعما للفرضية القائلة أن الآباء أكثر تمسكا بالقيم الأصيلة التقليدية من الأبناء ويذكر أن الباحث المصري جابر عبد الحميد جابر قام بتقنين هذه العينة إلى اللغة العربية.[1]

---

[1] – بشير معمرية(٢٠٠٢): **القياس النفسي وتصميم الاختبارات**، شركة باتنيت، باتنة الجزائر، ص. ٣٤١.

٨-٣ بطارية القيم الشخصية:

التي أعدها هوكس (Hawkes, 1950) وتتكون من ٩٠ بندا خصصت لقياس عشر قيم هي: القيمة الجمالية، والراحة، أو الاسترخاء في الصداقة، والحياة الأسرية والحرية البدنية، والسيطرة، أو التحكم والتقدم الشخصي والاعتراف. وقد قسمت بنود هذه البطارية إلى ٣٠ مجموعة يتضمن كل منها ٠٣ بنود لقياس ثلاث قيم من القيم العشرة ويطلب من المفحوص ترتيبها حسب الأهمية.[١]

٨-٤ مقياس القيم لسكوت: الذي أعده سكوت (Scott, 1965) ويشتمل على ٢٤٠ بندا لقياس ١٢ قيمة، الاهتمام بالأنشطة العقلية، والمهارات الاجتماعية، الإطار الأكاديمي والأمانة، والتدني، والاستقلال، وتنظيم الإجابة على البند. وأصله من ثلاث فئات.[٢]

٨-٥ مسح القيم: أعده ميلتون روكشر (Milton Rokeach) ويتضمن جزئين: الأول يتضمن ١٨ قيمة غائية: كالمساواة، والحرية، والاعتراف الاجتماعي. والثاني يختص بمقياس ١٨ وسيلة: كالطموح، والأمانة، والاستقلال، والطاعة. ويطلب من المفحوص ترتيب كل جزء مستقل عن الآخر من رقم ١ حتى القيم الأكثر أهمية على رقم ١٨ حتى أقلها أهمية.[٣]

خلاصة الفصل:

يولد الإنسان ويخرج إلى هذا العالم دون أن يدري شيء عن القيم والمعايير والقواعد الاجتماعية، وبالتدريج يبدأ في تعلمها لما ينمو جهازه النفسي وينضج "الأنا الأعلى" من خلال نضج جهازه الاجتماعي ويطور ميكانيزم "النمذجة"، فكلما كان النموذج يتوفر على قدر من الخصائص الخلقية والقيمية المقبولة كلما ارتقى الحكم الخلقي للفرد إلى مراتب عليا.

إن ما يؤدي إلى تضامن أعضاء الجماعة الاجتماعية هي القيم المشتركة التي يتقاسمونها، وتستند الوحدة الاجتماعية على شيء آخر غير القيم، فقد قال باريتو (Pareto) أن الوحدة تقوم أيضا على المصالح والمعتقدات والميول المشتركة. إذا اضطربت القيم عند

---

[١] – عبد اللطيف خليفة، مرجع سابق، ص ص. ٢٦-٧٦.

[٢] – نفس المرجع، ص ص. ٢٦-٧٦.

[٣] – نفس المرجع السابق، ص ص. ٢٦-٧٦.

الإنسان انسحب وانعزل وتمرد على الواقع، ويحدث هذا الاضطراب لما يكون هناك اختلال في التوازن بين مضمون القيم المثالية وبين ما هو موجود في الواقع.

إن هذه الدراسة تهتم بدراسة القيم الأسرية السائدة عند نمط معين من الأفراد وهم "أطفال الشوارع" وقبل الحديث عن ماهية هذه الفئة بكل أبعادها سنتحدث في الفصل اللاحق عن ماهية التنشئة الاجتماعية والتربية الأسرية وخصائصها وأساليب التربية الوالدية.